الشرباصي

والمسرح الإسلامي

دكتور

علي جاد الحق سعيد

الأستاذ المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا

جامعة الأزهر

المقدمة:

لا شك أن الموهبة والاستعداد الفطري من أكثر البواعث تأثيراً في تزويد الإنسان بالمهارات الإبداعية، أما الموهبة فهي نعمة من الله يزود بها من شاء من عباده، والاستعداد الفطري يولد مع الإنسان وينمو بنموه.

والأديب الشرباصي(١)، واحد من هؤلاء الأدباء المعاصرين الذين زودهم الله بهذه النعمة ومنحهم الاستعداد الفطري فعمل جاهداً علي إنماء هذه الموهبة.

---

(١) فضيلة الدكتور/ أحمد الشربيني جمعه الشرباصي وشهرته أحمد الشرباصي، ولد في السابع عشر من نوفمبر سنه ١٩١٨م، في بلدة البجلات مركز دكرنس محافظة الدقهلية، تخرج من كلية اللغة العربية فنال منها الشهادة العالية سنة ١٩٤٣م، كان ترتيبه الأول بين الخريجين، كما كان الأول بين زملائه في سنوات الدراسة بالكلية، ثم نال الشهادة العالمية والتخصص في التدريس سنه ١٩٤٥م، وكان ترتيبه الأول أيضاً، وكانت هذه أول مرة يجمع فيها متخرج أزهري بين الأولية في الشهادة العالية والأولية في شهادة العالمية والتخصص في التدريس ثم نال دبلوم في الدراسات العربية العالية ١٩٥٠م وكان ترتيبه الأول، وحصل علي درجة الماجستير بتقدير ممتاز في الدراسات الأدبية اللغوية سنه ١٩٦٧م، عن أمير البيان شكيب أرسلان مع تقدير طبع الرسالة ثم أخذ درجة الدكتوراه مع مرتبه الشرف الأولي في الدراسات الدبية واللغوية سنه ١٩٦٧م عن (رشيد رضا) صاحب المنار، عمل مدرسا بالأزهر في معاهده وجامعته، ثم رئيسا لجمعية الشبان المسلمين ثم رشح سنه ١٩٦١م لنيل جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية لأسباب تتعلق بنشأته العلمية،ومؤلفاته ووجوه نشاطه والجمعيات واللجان والمؤتمرات التي اشترك فيها والرحلات التي قام بها وغير ذلك من وجوه النشاط العلمي والاجتماعي والقومي والديني في مختلف المجالات وقد ترك تراثاً علمياً كبيراً، بين مؤلفاته: (حركة الكشف، محاورة بين صديقين، سيرة السيدة زينب، واجب الشباب العربي، المحفوظات الزهزي، لمحات عن أبي بكر ، تحقيق كلمة الإخلاص، صفوة التصوف، تحقيق، محاضرات الثلاثاء، صلوات علي الشاطئ، أمين الأمة أبو عبيده، مسرحيات إسلامية، أبطال عقيدة وجهاد، الفداء في الإسلام، الدين والمجتمع، في عالم المكفوفين...الخ، توفي في أواخر السبعينيات من القرن الماضي.

ولا ريب في أن موهبة الشرباصي ومقدرته الإبداعية مما مكنه الاهتمام بالأدب المسرحي لاستخدامه وسيلة تربوية وتعليمية ولساناً من ألسنة الدعوة وعنصراً من عناصر الحضارة الإسلامية المتوازنة التي تمتد أساليبها إلي السماء وفق تصورات واضحة صحيحة.

وامتلاك الشرباصي حظاً موفوراً من البيان والبراعة، وهما دعامتان أساسيتان للأدب، مما ساعده كذلك علي إبراز الحدث بالشكل الذي يتطلبه الموقف البنائي للعمل المسرحي، ووضوح مقدرته اللغوية التي تنهض بالتعبير، والمسرح الإسلامي لا يصدر إلا عن عقيلة إسلامية خالصة، وعن أديب مسلم موهوب يأخذ في حدود ويعطي بلا حدود، ومن خلال ذلك استطاع الشرباصي أن تتكون لديه الرؤية التي يعبر من منطلقها عن فكرة الأدبي الإسلامي في قالب مسرحي تناولته هذه الدراسة التي تضم مقدمه وتمهيداً وفصلين وخاتمة.

ففي المقدمة:

عرضت من خلالها براعة الشرباصي فيا وقدرته علي الكتابة المسرحية واتخاذ المسرحيات وسيلة تربوية وتعليمية.

وفي التمهيد:

تحدثت عن صلة المسرح بالدين ودور المسرح في خاتمة الإسلام وأسباب غياب المسرح عن التفكير العربي والإسلامي.

أما الفصل الأول:

المسرح ومصادره عند الشرباصي، فيتكون من مبحثين **أولهما:** بواعث الإبداع المسرحي عند الشرباصي، **وثانيهما:** مصادر المسرح عند الشرباصي.

وفي الفصل الثاني:

تناولت البناء الفني للمسرحية عند الشرباصي من خلال عدة عناصر وهي (الموضوع، الإطار، الأسلوب، الشخصية، الحوار).

وفي الخاتمة:

أبرزت مكانة الشرباصي في الكتابة المسرحية الإسلامية بخاصة، وأنه أحد الأصوات البارزة في أدبنا المعاصر بعامة من أبناء الأزهر الشريف، الذين أوتوا حظاً موفوراً من العلوم التي تكبر النفوس وتوسع العقول، وتهم شباب الأمة العربية والإسلامية وتفتح عيونهم علي صور صادقة من صور الإيمان والتمسك بالعقيدة الصحيحة والتضحية والفداء في سبيل الله.

وبعد: ولتكن هذه الدراسة باعث عزم لمن يحسن النقد ويكمل، وبالله العون، ومنه السداد وهو الذي بنعمته تتم الصالحات.

علي جاد الحق

تمهيد

يتضمن هذا التمهيد ثلاث نقاط يحاول هذا البحث أن يكشف عنها وهي:

أولا : صلة المسرح بالدين.

ثانيا : دور المسرح في خدمة الدعوة.

ثالثا : أسباب غياب المسرح عن التفكير العربي والإسلامي.

أولاً : صلة المسرح بالدين:

مما لا شك فيه أن الآداب العالمية إنما نشأت نشأة دينية من خلال الطقوس والشعائر التعبدية القديمة، فما الأساطير إلا الأمم البدائية مختلطة بتاريخها القومي، ومعتقدها الديني وممارستها في مواجهة حياة خشنة وطبيعية عاتية، وهذا ما أكدته الدراسات والأبحاث والاكتشافات التاريخية.

تؤكد الدراسات والأبحاث والاكتشافات التاريخية أن فن المسرح يرتبط في نشأته بالديانات القديمة غير السماوية، وقد نشأت تلك الديانات الوثنية في المجتمعات الأولي مستهدفة كشف حقيقة الوجود، وتفسير أحداث الحياة والتماس الوسائل الكفيلة بدرء المخاطر والكوارث التي كانت تهدد تلك المجتمعات حسب الرؤية البشرية[1].

ويقول الدكتور غلاب : فقد كانت المأساة الهيلينية...وقد نشأت وترعرعت في أحضان الدين فقد كانت من الطبيعي أن تمثل في أحد المواضع المخصصة لتأدية العبادات العامة، وهي الأماكن المقدسة[2]، وإذا كانت الشعائر الدينية عند اليونان هي المدد الأول الذي انبثق عنه المسرح اليوناني فقد نحي الناظرون في المسرح هذا المنحي[3].

---

(1) المسرح في العصور الوسطي الديني والهزلي ص ٣٦، عبد الرحمن صدقي دار الكتاب العربي.

(2) الأدب الهيليني، جـ ٣ص ٤٣، وما بعدها ، محمد غلاب الطبعة الأولي سنة ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.

(3) المسرح المصري القديم ص ٣١، (انقيني وبريوتوت) ترجمة وعدد/ ثروت عكاشة، دار الكتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧م.

وهذا واضح في الصور الدرامية الأولي عند قدماء المصريين في أسطورة إيزيس وأوزوريس التي تصور الصراع بين الشر الخير، والخير ممثل في إله الخصب والنماء إيزيس، والشر ممثل في الإله (ست) وكانت هذه الصور الدرامية عبارة عن تراتيل دينية تلقي في الأعياد والمناسبات الوطنية قرباناً للآلهة، وذلك لاستجلاب الخير ولإبعاد الشر عن الوطن.

استمرت هذه التراتيل الدينية من عصر قدماء المصريين حتي عصر المسرح الإغريقي[1]، وحتي بعد اندثار الحضارتين اليونانية والرومانية ومجيء العصر الوسيط لم يلبث المسرح كسائر الفنون التى بعثت بعد قرون علي يد رجال الدين أنفسهم[2]، وما يدل علي شدة الارتباط بين الدين والمسرح الدراسة المستفيضة التي نشرها (ترنش والدابل) في (أكتاأورينياليا) بعنوان تراجيديا إغريقية عن موضوع من التوراة، ولم يكن هذا الارتباط فقط بين الديانات غير السماوية بل والسماوية.

ونعرف من دراسات عالم الآثار (لانوفيتش، والدابل)، نفسه أن (أزكيلوس) وهو يهودي قد اتخذ من مسرحيات (يوربيدس) مثلاً يحتذى به حين وضع مأساته الدائرة حول بعض أجزاء التوراة[3]

وينسب إلي أزكيلوس هذا أنه مؤلف تراجيديا عن خروج بني إسرائيل من مصر[4]، كل الأديان درامية الروح، ما دام الإنسان فيها يواجه مقدوره، ولعل المسيحية تفوق غيرها من الديانات في أنها تعني أكثر منها بإبراز درامة العالم والضمير البشري هذه[5] وهذا ما أكده شيخ المخرجين

---

(1) الكتاب العربي والأسورة ص ١٢، محمد عصمت، المجلس الأعلي لرعاية الفنون والأدب.

(2) المسرح في العصور الوسطي الدين والهزلي ص ٣٩.

(3) المسرح العربي ص ٢٠،٢١، رشدي صالح مطبوعات الجديد العدد الرابع ٥ يونيو ١٩٧٢م.

(4) المرجع نفسه ص ٢٣.

(5) المسرح الديني في العصور الوسطي حث جان فرابيبه، و.أ.م، جومار_ترجمة د/ محمد القصاص، مكتبة النهضة المصرية.

(سيسل دي ميل) في قوله عندما سئل: لماذا اخترت للشاشة البيضاء روايات دينية؟.....فيجيب لأنني شديد الإيمان بالدين وبعقائد الناس فيه[1].

ويقول الأستاذ أحمد شوقي : "...إن المسرح والدين عنصران لهما قصة درامية علي مدي تاريخ الإنسانية فيها منم التفاعل والتضارب والتقارب والتنافر أيضا، وما يمثل مشاهد ومواقف وفصولا، تجمع بين الإثارة والثورة بين الاحتضان والاحتضار[2].

ويقول الأديب الشرباصي : "...منذ عهد بعيد وأنا أردد قولي : "إذا تفنن رجل الدين وتدين رجل الفن التقيا في منتصف الطريق لخدمة العقيدة القومية والفن السليم"[3].

وهذه الأقوال تدمغ بعض الزاعمين، بأن الدين والفن لا يلتقيان:

وإذا كان البعض يزعم أن الدين والفن لا يلتقيان، ويظن هذا البعض أن هدف الفن الجمال، وهدف الدين الحق، إذا كان الظن كذلك فإنه ظن أوحت به نظرية (الفن للفن) وغيرها من النظريات التي تركز علي الاستماع وحده ونسوا وتناسوا أن الحق قمة الجمال والروعة وأن الدين القويم يسعي حثيثاً لإسعاد الإنسان، ويجعل حياته تنبض بالجمال والحق والأيمان، وذلك هو الفن الصحيح وما عداه فهو فن لا يترسم خطي الفكر السليم والحياة السوية والمشاعر الصادقة، ألا تري أن الفن والدين يلتقيان عند نقطة واحدة.

ويقول روسو في ذلك عن طفله : "...إن الغرض الأساسي من تربيته هو أن أعلمه كيف يشعر ويحب الجمال في أشكاله، وأن أرسخ عواطف وأذواقه، وأن امنع شهواته من النزول إلي الخبيث والمرذول، فإذا تم ذلك وجد طريقه إلي السعادة مجهداً[4].

---

(1) المسرح الإسلامي ص ١٢٠ أحمد شوقي دار الفكر العربي.

(2) المرجع السابق ص ٢٧.

(3) مسرحيات إسلامية_ المقدمة_كتب ثقافية العدد ١٦٢.

(4) أدب الأطفل في ضوء الإسلام ص ١٩،٢٠، د/ نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ

ثانيا : دور المسرح في خدمة الإسلام :

كشفت صلة المسرح بالدين بأن الفن الصحيح يسعي لإسعاد الإنسان ويجعل حياته تنبض بالجمال والحق والإيمان وأن الدين القويم يسعي لإسعاد الإنسان ويجعل حياته تتسم بالنسق والنظام.

ومن ثم فالدين والأدب يقصدان إلي تهذيب الجنس البشري، وذلك عن طريق الشعائر الدينية المقدسة، ولذا فقد حمل الأدب الدعوة الإسلامية منذ انطلاقها فكان وعاء وقوة إعلامية كبيرة للرسالة العظيمة التي يحملها علي مدي الزمن كله فأسهم هذا الأدب مع رسالة التوحيد في بناء حضارة الإنسان الحقيقية حضارة الإسلام الممتلة مع الزمن كلهن فلا نعجب أن تأتي الفنون الحديثة المنبثقة من الأدب، ومن بينها فن المسرح ويضطلع بهذا الدور ليؤازر الإسلام في النهوض ببناء حضارة الإيمان ولينهل منها وليتفاعل معها والأدب المسرحي لا يزال ذروة الإبداع في حياة الإنسان، وهو يحمل خصائصه الإيمانية وخصائصه الفنية، فيصبح منارة للحق وبناء للخير والصلاح من منطلق الوضوح الكامل والوعي التام والكلمة المسئولة.

ويقول الأستاذ الزيات : "...إن المسرح مهبط البيان ومورد البلاغة وطريق النفوس إلي الخير والحق والجمال، فليس غايته التأثير واللهو، وإنما يعمد إليهما تخفيفا لثقل الحكمة في النفوس كما يساغ الدواء الشديد المرارة بالسكر والعسل، فإذا لم يخرج المشاهد من المسرح وهو أوفر علماً وأرجح حلماً وأحسن حالاً من قبل أن يدخل فقد خرج المشاهد من المسرح غرضه وضل طريقه[1].

ومن ثم فقد دعا كثير من المفكرين والدارسين علي أن تكون للفن أخلاقية فلذلك أشاد الكلاسيكيون بالغاية الخلقية للأدب فالملحمة مثلاً يجب أن يكون خلقية غايتها (إصلاح العادات) والشعر يجب أن يكون خلقياً يلقن الفضائل الدينية والاجتماعية، والشاعر الحق هو من يتوافر في شعره الامتناع والإفادة فيغذي العقول ويساعد علي إصلاح الخلق والمسرح يجب أن يكون خلقيا[2].

---

(1) احمد حسن الزيات، (بين البلاغة والنقد) ص ١١٨، د/ رجب البيومي دار الأصالة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، بالرياض.

(2)فلسفة الالتزام في النقد الأدبي ص ١١٣، د/ رجاء عيد، منشأة المعارف ١٩٨٦م، الإسكندرية.

والنظرة الأخلاقية في الفن كانت صراعاً استمر طوال فترات التاريخ كما تقول روز الغريب : "...إن الفن ارتبط منذ القدم ، منذ ارسطو وأفلاطون قبله وعهود سيطرة المسيحية في الشرق والغرب، بوظيفة الإصلاح والتثقيف وتهذيب الناشئة وترقية الشعور وأن هذه النظرية التي تسخر الفن لخدمة الأخلاق قد تمتعت بسيادة بقي أثرها حتي عصرنا الحاضر فاعتنقها كثير من النقاد والباحثين[1]"، ويربط توفيق الحكيم بين المذهب الفني الخلقي حين يقول : "...هناك صلة في اعتقادي بين رجل الفن ورجل الدين ولذلك أن الدين والفن كلاهما يضيء من مشكاة واحدة، هي ذلك القبس العلوي الذي يملأ قلب الإنسان بالراحة والصفاء والإيمان وأن مصدر الجمال في الفن هو ذلك الشعور بالسمو الذي يغمر الإنسان عند اتصاله بالأثر الفني من أجل هذا كان لابد أن يكون مثل الدين قائما علي قواعد الأخلاق[2].

ويقول بعض الباحثين : "...ولا شك أن الارتباط الأدب العربي بالإسلام هو الذي خلق له ذلك التأثير، وعندما يربط بالقيم الإسلامية علي العالم الإسلامي فسوف يكون تأثيره أوسع وجمهوره أكبر...[3]، ومن هنا حمل الأدب العربي الحديث مشعل الدعوة الإسلامية وطوف أدباء الإسلامي بدوحة هذا الأدب العريق.

ولهذا فإن الدعوة الجادة الموحدة قد سلكت كل السبل المتفقة سلوكاً وموضوعاً مع مبادئها لوضع النفس البشرية علي طريق الهدي والرشاد، ونظرت إلي كل عناصر الفنون علي ضوء المبادئ والأهداف الإسلامية في إطار القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة"[4].

واستجابة للغريزة الدرامية التي هي تسمية دائمة للطبيعة البشرية، كان لابد من إيجاد وسيلة لإشباع علتها، وكانت الحياة الدينية منبراً ليسهم في جمع الشعوب علي حق والعدل،

---

(1) المرجع السابق نفسه ثم انظر ص ١٦١ النقد الجمالي.

(2) فن الأدب ص٧٦، توفيق الحكيم، مكتبة الأداب.

(3) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ص ٩٥، د/ عبد الباسط بدر، دار المنارة، السعودية.

(4) المسرح الإسلامي ص ٢٧.

وتعارفها علي الصدق والتفوق وتعاونها علي درء الفساد والفتنة في الأرض ودفع العدوان والظلم، فينأي بالإنسان عن الأحاديث الكاذبة والدعايات المضللة والأفعال المستقبحة وسائر أبواب الفتنة والضلال الضاربة في جنبات الحضارة المادية، ولم يكن بدعا وإنما يتفق وسنن الأشياء ولقد أحسن صنعاً الأديب الإسلامي أحمد الشرباصي عندما اتخذ من المسرح منبراً ووسيلة مباحة ترتقي بها الدعوة الإسلامية إلي درجة من الجمال المؤثر، حتي يسهم في بناء حضارة إيمانية طاهرة وحياة إنسانية نظيفة تشرق بالخير وتنطلق بالحق وينطلق منها الجمال.

وهذا ما يقرره ويدعو إليه الأستاذ أحمد شوقي، في قوله : "...إن المسرح ولا شك أشد جاذبية من منبر المسجد، فما لا يعتليه الفكر الإسلامي السليم ويطوعه لتبسيط وتجسيد المبادئ والسلوك والقدرة أسلوباً ومضموناً[1]...؟.

وهذا ما أكده الأديب الشرباصي في قوله : "...إننا أمة مؤمنة يجري الإيمان من روحها وقلبها وعقلها مجري الدماء من العروق، بل يسري مسري الهواء في الأرجاء ويشع إشعاع النور في الأفاق، فإذا جاءت الكلمة باسم الإيمان إلي هذه الأمة تقبلتها بقبول حسن، وتلقيتها بسواعدها وعواطفها وأفكارها معاً، وإذا سعت إليها الكلمة عن طريق فني زادت الأمة بها شغفاً وعليها إقبالاً، ومن هنا تزداد معرفتنا للآثار الطيبة التي تنشأ عن حكيم الربط في الدين وساحة الفن[2].

ثالثاً : غياب المسرح عن التفكير العربي والإسلامي وأسبابه :

وما دامت الأديان دراسية الروح فهل لنا أن نتساءل لماذا لم يعرف العرب المسرح في الجاهلية والإسلام؟...علي الرغم من الاتصالات الكبيرة بين العرب والفرس والروم قبل الإسلام وبالحضارة اليونانية في الإسلام؟...

بل هناك من الباحثين من يصرخ بأن الأدب الجاهلي تأثر بالأدب اليوناني، إذ يقول الدكتور/ إحسان عباس : "...ويبدو أننا بالنظر إلي أدب إيسون أمام فرضية مقبولة"، وهي أن ذلك

---

(1) المقدمة، مسرحيات إسلامية ص٦.

(2) المقدمة، مسرحيات إسلامية ص٦.

الأدب كان معروفاً لدي العرب في الجاهلية عن طريق اللغة الآرامية، وعن طريق نصاري الحيرة بالذات...[1].

ويقول الأستاذ أحمد شوقي : "...كان العرب في الجاهلية علي اتصال كبير بالفرس والروم والعالم الخارجي، سلماً حرباً وتجارة وغزواً واكتسبوا من هذا الاتصال تقدما حضاريا، ولقد عرفوا أفلاطون و أرسطو، ونقلوا عنهما الكثير الذي يبهرهم، في حين لم نعرف شيئا عن نقلهم للشعر والمسرح اليوناني، ولا يعني هذا بالتأكيد عدم معرفتهم بهذا اللون الثقافي أو نقلهم له : إذ إن ما وصلنا من ثقافتهم وآدابهم لا يمثل إلا قدراً يسيراً، ولعل هذا يرجع إلي أن المشافهة والحفظ والرواية كانت من أبرز العناصر التي سادت بلاد العرب قبل الإسلام بل وفي فجر الإسلام لتوارث الآداب العربية، حيث لم يكن التدوين منتشراً ولا متقدماً.

كما وقعت أحداث تاريخية مؤسفة راح ضحيتها من التراث المدون المجلدات والمخطوطات والكتب، إذ قامت الغزوات الصليبية الاستعمارية بحرق المكتبات العربية العامرة في بلاد المشرق والمغرب العربي، وأجرم التتار أثناء هجومهم علي بغداد فألقوا بخزائن كتب العلم في مياه نهر دجلة لتكون جسراً يعبر عليه جنودهم المتعدون[2].

ولعل من أجل هذا أنكر البعض معرفة العرب، أو علي الأقل عزوفهم عن النقل للشعر والمسرح اليوناني ولذا أرجعوا المسرح عن التفكير العربي والإسلامي وبرزوا ذلك بأسباب منها :

أولاً : السبب العقلي :

لا يتمتع العرب بعقلية تحليلية كاليونان، والأفكار عندهم لا تتسلسل تسلسلا دقيقا، ولا يرتبط بعضها ارتباط وثيقا، وذكاء العربي ليس من النوع الخالق المبتكر.

---

(1) ملامح يونانية في الأدب العربي ص ٦٦، د/ إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات والنشر.ظ

(2) المسرح الإسلامي ص ٢٨.

ثانياً : السبب الاجتماعي :

لم يعرف العرب في الجاهلية الاستقرار في المدن، وكان النظام القبلي هو السائد الذي يذيب الفرد في كيان القبلية، ويدون شخصيات متميزة لا يمكن أن يوجد أدب تمثيلي كان الشعر بالجاهلي في عصر الاستقرار هو المثل الأعلى.

ثالثا : السبب الديني :

كانت وثنية العرب في العصر الجاهلي وثنية ساذجة، لم تتطور ولم تتمخض عن طقوس ومراسم تؤدي إلي نشوء فن التمثيل كما نشأ عند اليونان من طقوس عبادة (ديونيزوي) أما في الإسلام فقد وجد العرب في عقيدته وضوحاً لا يحتاج إلي تأويل، ومن أجل ذلك أعرضوا عن ترجمة أدب اليونان، ملاحم ومسرحيات لما يتضمنه من آلهة متعددة وعبادة الأبطال.

رابعاً : السبب التاريخي :

لما دخل العرب في الحضارة، كان الأدب التمثلي مهجوراً عند أهله، إذ إن الدولة البيزنطية في العصر المسيحي أهملت فن التمثيل، وعدته من مخلفات الوثنية، وهكذا كان الأدب التمثيلي بالنسبة لهم غير موجود.

خامساً : السبب اللغوي :

لم يعش الأدب العربي الفصيح في كنف الشعب بل عاش عند الملوك والأمراء ولم يوجد عند الشعب إلا السامر الذي كان يجمع بين الرقص والغناء والتمثيل المضحك كخيال الظل[1]، وهذا الأسباب وغيرها قد تصدي لها مفكرون الشرق الغرب، فأدلوا بآراء موضوعية، يطول بنا الحديث عند استعرضها.

ومهما كانت الأسباب التي جعلت المسرح غائباً في الماضي فإن الإسلام لا يرفض أن يكون المسرح في الحاضر منبراً يعتليه الفكر الإسلامي السليم، ويطوعه لتبسيط وتجسيد السلوك و القدرة أسلوباً ومضموناً.

---

(1) العرب والمسرح ص (٣٥-٣٦) محمد كمال الدين، كتاب الهلال العدد ٢٩٣، ربيع الآخر ١٣٩٥هـ مايو ١٩٧٥م.

ولا يعني إغفال الإسلام للمسرح عجزاً أو قصوراً نرمي به تراثنا، فالمسرح كشكل معماري لا وجود له قبل العصر الحديث تراثنا شاهد علي وجود المادة الأولية التي يستمد منها المسرح احتياجاته، ومما يدل علي ذلك استلهام كبار كتاب المسرح عندنا لتراث العربي والإسلامي.

وقد شهدت السنوات التي تلت ظهور توفيق الحكيم، كأديب يكتب للمسرح نمو أدب المسرح، وتقديم كتابات جديرة بأن توضع في ميزان النقد المسرحي كمسرحيات عزيز أباظة الشعرية ومسرحيات علي أحمد باكثير[1].

فقد استلهم توفيق الحكيم من التراث العربي والإسلامي : "...أهل الكهف، محمد صلي -ﷺ-، وأشعب، وشهر زاد، كما استلهم باكثير: "...هاروت و وماروت، ومن فوق سبع سماوات، وا إسلاماه، وسيرة شجاع، كما نجد هذا عند غيرهما من كتاب المسرح العربي والإسلامي.

ويقول بعض الباحثين :

وهو حين يستلهم هذا التراث حاول أن يوفق بين مادته القديمة وبين الشكل المعماري الذي اكتسبه من الحضارات الأوربية[2]"

ومن كتاب التمثيلية الإسلامية لفيف من أبناء العربية نبغوا ومرنوا علي كتابة فصولها وحوارها، ومن هؤلاء كاتبنا الإسلامي الكبير أحمد الشرباصي، ولمسرحياته مكانه في المسرح الإسلامي، حيث اتخذ من التاريخ الإسلامي مادة لمسرحياته ويؤكد هذا الأستاذ وديع فلسطين في قوله.

أما في باب التأليف المسرحي فإن الضاد مدينة لرواد هذا الفن مثل : "...محمود تيمور وعزيز عيد ويوسف وهبي وتوفيق الحكيم وإبراهيم رمزي وزكي طليمات وأحمد زكي أبي شادي وعادل الغضبان وعلي أحمد باكثير وبشر فارس وسعيد تقي وأحمد الشرباصي وفتحي رضوان، فقد كانت لكل من هؤلاء الأدباء جولات بارعة في الأدب المسرحي ولولاهم لما كان للمسرح مكان في الأدب العربي.[3]".

---

(1) المسرح العربي ص ٨٣.

(2) النقد الأدبي الحديث ص ٢٧٧، د/ احمد كمال زكي مكتبة لبنان.

(3) قضايا الفكر في الأدب المعاصر ص ٩٦ وديع فلسطين، المكتب الفني للنشر، القاهرة دت.

الفصل الأول

المسرح ومصادره عند الشرباصي

اتضح من التمهيد السابق أن الأديب أحمد الشرباصي من رواد كتابة التمثيلية الإسلامي الذين نبغوا فيها ومرنوا علي كتابة فصولها وحوارها، وان التأليف المسرحي في لغة الضاد مدين له فقد كانت له جولات بارعة في الميدانى المسرح، ولم يكن هذا الإبداع وليد يوم وليلة، فقد تضافرت عوامل كثيرة لبعثه، نتعرف عليها من خلال هذا الفصل، كما نتعرف أيضا علي مصادر المسرح عند الشرباصي ونماذج من مسرحه.

أولا : بواعث الإبداع المسرحي عند الشرباصي :

١- اهتمام الأديب الشرباصي بالدعوة الإسلامية منذ التحاقه بالأزهر الشريف وشدة إخلاصه لها دفعا به إلي الإسهام في هذا لشكل الأدبي الثقافي الجديد ليجعل من المسرح الوليد منبراً للدعوة الإسلامية وأن يخوض تجربة رائدة في محاولة إبداع مسرحيات إسلامية مما يدل علي طموحه ويكشف عن طاقاته الإبداعية التي لم تعرف التوقف لحظة.

٢- سعة إطلاع الأديب الشرباصي وكثرة قدراته في كتب الأخبار والسير وخاصة السيرة النبوية العطرة والتاريخ الإسلامي المشرق، وحمله لثقافة واسعة شاملة وتزوده بتجربة منوعة، وتميزه بتفكير خصب، كل ذلك هيأ له أن يمارس هذا اللون من الإبداع الفني الجديد.

ومن ثم أدرك الشرباصي الأديب بثاقب فكره أن المسرح طريقة ملائمة للتعبير عن قضايا الإنسان العصري وشكلا يثبت قدرة اللغة وتطورها إلي لغة درامية أصلية، فأخذ سعي إلي أيقاظ وطنه وبعث الوعي في أمته العربية والإسلامية ببث هذا الإحساس في مسرحيات الإسلامية، وانطلق يسترفد اللغة في متونها وعلومها.

ولعل إدراكه لأهمية المسرح والدور الإصلاحي الذي يمكن أن يقوم به في العصر الحديث باعتباره قناة جيدة التوصيل لنقل أفكار الكاتب وأداة فعالة، ومنبرا ممتازاً للتعبير عن آرائه مما دفع

به إلي الكتابة الإسلامي.

(إن الكاتب المسرحي يجعل من المسرح منصة للتعبير الشعبي في الأزمنة المختلفة)[1].

٣- إيمان الشرباصي بهذا المبدأ الذي كان يردده منذ عهد بعيد إذ يقول : "...إذ تفنن رجل الدين وتدين رجل الفن التقيا في منتصف الطريق لخدمة العقيدة القومية و الفن السليم" ، ثم يقول : "...ويحافز من الإيمان بهذا القول أدركت ما نستطيع ان نجنيه من ثمرات في مجال الدعوة إلي الفضيلة والحق والخير عن طريق الاستغلال الطيب الألوان الفن السامية الطاهرة وما نستطيع ان نحققه في الوقت نفسه من أعلاه وتصعيد لمستويات الفن حين نعمره بالزاد الديني والمدد الأخلاقي.

ويحافز من الإيمان أسهمت بالكتابة في المسرحية الإسلامية وشاركت ما استطعت من جهد في إنشاء المسرح الإسلامي بالمركز العام لجمعيات الشبان السلمين الذي قدمنا عن طريقة عدداً من المسرحيات[2].

يقول الأستاذ محمد قطب :

"...أن كلا من الفن والدين يعبر عن الحقيقة الكبري ويقول أيضا : "...إن القرآن يوجه الحس البشري للجمال في كل شيء وأنه يسعي لتحريك الحواس المتبلدة لتنفعل بالحياة في أعماقها وتتجاوب تجاوبا حيا مع الأشياء، وهنا يلتقي الفن والدين والفن الصحيح هو الذي يهيئ اللقاء الكامل من الجمال والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود[3].

ويؤكد علي هذه الصلة توفيق الحكيم بقولة :

---

(١)أدب باكثير المسرحي ص ٥، د/ احمد السعدني الطليعة أسيوط ١٩٨٠م.

(٢) مسرحيات إسلامية صـ٥، احمد الشرباصي، كتب ثقافية تعدد ١٦٢ سنة ١٩٦٢م.

(٣) منهج الفن الإسلامي ص ٦، محمد قطب، وانظر مدخل إلي الادب الإسلامي ص ٩، د/ نجيب الكيلاني كتاب الأمة العدد ١٤ جمادي الآخرة ١٤٠٧هـ الطبعة الأولي.

"...هناك صلة في اعتقادي بين رجل الفن ورجل الدين، ذلك أن الدين والفن كليهما يضيء من مشكاة واحدة ، هي ذلك القبس العلوي يملأ قلب الإنسان بالراحة والصفاء والإيمان، وأن مصدر الجمال في الفن هو ذلك الشعور بالسمو الذي يغمر الإنسان عند اتصاله بالأثر الفني، من أجل هذا كان لابد أن يكون مثل الدين قائما علي قواعد الأخلاق[1].

وبقول بعض الباحثين :

"...إن الحساسية الدينية غير بعيدة عن الحساسية الفنية"، وقد تكون علي صواب حين يقول : "...إن الدين كثيراً ما امتطي صهوة الفن لإيصال رسالته، ويبدو هذا التلاحم علي أشده في القرآن الكريم كلام الملك الديان والمثل الأعلى في البيان[2].

اشتغال الشرباصي الأديب في حقل الدعوة الإسلامية توجيها وإرشاداً أو نصحا خطابة وكتابة، مكنه من القدرة علي التعبير واستقطاب الجمهور الملتقي، بما كان يتمتع به من مهارة في التفكير وبراعة في الاستدلال وقدرة علي الإقناع، وجدة ابتكار في التعبير والتأثير واستمالة للقلوب.

لذا فقد افرغ قدرته الإبداعية في أدب المسرح وطاقته الفنية في التأليف المسرحي فارتقت المسرحية الإسلامية إلي قمة الإبداع، ولا سيما المسرحيات التي استقاها من السيرة النبوية واستوحاها من التاريخ الإسلامي، حيث صاغها في أسلوب جاد وهادف، وهذه الأعمال التاريخية التي تقدم النماذج الباهرة من الصحابة والتابعين كقدرات تاريخية تكون محبوبة.

"...فالتاريخ عظة الغابر الذي تتمثل حكمة في واقعنا الذي نحياه والإنسان مفطور علي حب قراءة التاريخ باعتباره قصة الإنسانية المعذبة التي تتكرر مآسيها في كل عصر، وتكون العظة

---

(1) فن الأدب ص ٧٦، توفيق الحكيم مكتبة الآداب.

(2) التفكير النقدي عند العرب ص ٤٣، عيسى العاكوب دار الفكر دقق، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

الأخلاقية أشد تأثيراً حين تقوم علي أساس تاريخي حدث فعلاً فالتاريخ غابر قديم، وهو قائم في حاضر متكرر ويلذ للقارئ الاستماع إليه[1].

ويشيد بعض المشتغلين بالتأليف المسرحي إلي أهمية المسرح ودوره في حقل الدعوة الإسلامية وشدة تأثيره فيقول : "...إن المسرح ، ولا شك منبر قد يكون أشد جاذبية من منبر المسجد، فلم لا يعتليه الفكر الإسلامي السليم ويطوعوه لتبسيط وتجسيد المبادئ والسلوك او القدرة أسلوبا ومضموناً[2].

ومن ثم تنطلق الأديب الشرباصي إلي خوض غمار التأليف المسرحي منفرداً ومشتركا باعتباره لونا من ألوان الأدب العربي يتناول فيه ما يختاره من سير وأحداث ومواقف تشع نبلا ومروءة وعفة وجمالاً وجلالا مجدا القدرة التي يفتقدها شباب هذا الجيل التائه في غياهب الظلمات.

ويؤكد علي هذا بقوله :

"...إننا اليوم أمة لا بد لها من اليقين بأن حاضرها يجب أن يكون امتدادا لماضيها في قيمها، ومقوماتها ومثلها، وأن غدها يجب أن يكون وليداً لحاضرها"، ونحن الآن نتعرض لمرحلة حاسمة من مراحل نضالنا وكفاحنا ضد أعدائنا الذين يتربصون بنا الدوائر عن اليمين وشمال[3].

ومنذ أوائل الخمسينات سار علي الدرب بتفوق واقتدار الفنان (فؤاد الطوخي) والعالم الإسلامي (احمد الشرباصي)، وقدما نتاجا وافرا من المسرحيات الإسلامية الكبيرة التي تعد علامات واضحة في هذا المجال.

فكتب فؤاد الطوخي منفردا خمس مسرحيات هي : (البيت العتيق، بلال، الأنصار، فلسطين) كما كتب الشرباصي (مشرق النور، أبا حازم، مؤمنة جاهدت، الحجاج وسعيد بن جبير،

---

(1) حوار مع الشاعر المسرحي قدنان مردم مجلة الشعر، القاهرة يناير ١٩٧٩م.

(2) المسرح الإسلامي ص ٣٩٠.

(3) الفداء في الإسلام ص٩، د/ احمد الشرباصي سلسة اقرا العدد ٣١٤ الطبعة الثانية دار المعارف بمصر.

مروعة، درس في الصدق) واشترك الاثنان معا في كتابة خمس مسرحيات أخري هي : (عدو الإسلام، صراع سلطان الطعام، بطولة، فارس الشهباء).

هـ : إيمان الشرباصي القوي بأن الإسلام هو منهاج حياة كامل "...وهذا المنهج هو الذي يميز الأمة المختلفة الوارثة لتراث العقيدة الشهيدة علي الناس المكلفة بأن تقود البشرية كلها إلي الله "، وتحقيق هذا المنهج في حياة الأمة المسلمة هو الذي يمنحها مكان القيادة الذي خلقت لهن وأخرجت للناس من أجله[1].

ولذا كان الشرباصي يهدف من وراء هذه المسرحيات الإسلامية تمجيد روح الجهاد والصمود والترفع عن المباذل والدنايا، والدعوة إلي مجتمع متعاون متحاب، لا يقهر فيه إنسان من إنسان وحق الإنسان في حياة الحرة الكريمة، يقم النماذج و القدوات في أدب صادق تستجيب له نفس المسلم وتعلق به، لأنه أدب أصيل غير مفتعل يحاول من خلاله استنهاض الهمم عساه يوصل مستقبل هذه الأمة بماضيها المشرق.

"...ثم إن الدين الإسلامي لم يكن دينا قاصراً محصوراً في العبادات وحدها حتي يقال عنه أنه إذا سايره أدب منحصرا في العبادات وحدها، بل إنما الإسلام هو الدين الفريد الذي اتسع كاتساع الإنسان وامتد كامتداد حياته، ولم يتعارض إلا مع ما يتعارض مع مصلحة الحياة الإنسانية ذاتها ومع ذوقها الجميل، وأنه إذا تعارض فيتعارض مع عمليات الهدم والخلال بصالح الإنسان وإنسانيته[2].

ويقول احمد أمين في كتابة النقد الأدبي :

---

(1) في ظلال القرآ، المجلد الثاني ص ٢٤، سيد قطب، الطبعة الثانية عيس الحلبي بالقاهرة درت.

(2) الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ص٢٢، محمد الرابع الحسني الندوي، دار الصحوة بالقاهرة الطبعة الأولي سنة ١٤٠٥هـ

"...الأدب يشرح الحياة و الإنسانية، لا لذاتها بل لغاية، وهذه الغاية هي ترقية المشاعر لا إضعافها، فإذا هو حاول إفساد العواطف منعناه من ذلك، فالفن يتطلب الحقيقة والأخلاق تتطلبها أيضا فيجب أن يتفقا[1].

وإيمانه القوي بمثل عليا رفيعة يراها تنهار كل يوم صريعة أمام عينية، كما في مسرحيته (المروءة) فيقول : "...علي لسان عبد الله بن سلام والي العراق الذي احتال عليه معاوية بن أبي سفيان في أن يطلق عليه زوجته زينب بنت اسحق لأن ابنه يزيد كان راغبا فيها، ويعرض معاوية علي ابن سلام في خداع الزواج من ابنته مقابل تطليقه زينب نزولا علي رغبة يزيد، وبعد طلاقها تتزوج من الحسين بن علي رضي الله عنهما، وبعد زواج الحسين منها ينزل عنها لزواجها ابن سلام، لما رأي من شدة تعلق عبد الله بن سلام بزينب فيقول ابن سلام : "...بقيتم يا آل بيت النبي عنوانا للمحامد ومثالا للفضائل ، وعشت ابن بنت رسول الله-ﷺ- تاجا للمروءات ورمزا للحسنات[2].

وكذلك مسرحيته أدرس في الصدق الذي يحارب فيها أخبث الرذائل وهي رذيلة الكذب بطرقه المختلفة التي حددها الشرباصي في ثلاث هي : اللسان، والإشارة، والسكوت"[3].

وفي هذه المسرحيات وغيرها التي كتبها الشرباصي يتجلى تجسيد القيم والمبادئ الإسلامية التي تتعرض لأحقاء الأعداء وانتهازية المتسلقين، لأن العقيدة الإسلامية تملك خيرا كثيراً وزادا وفيرا للحياة الخلقية والاجتماعية فيقوم المجتمع الإسلامي بنشر هذه الفضائل في جميع مناحي الحياة الفردية والجماعية، وبناء الإنسان علي خلال ثابتة من الإنسانية، ذلك الذي أكرمه بالعقيدة والإيمان بخالق الكون والحياة ومنحه وأعطاه راية القيادة العالمية، وأنعم عليه بنعمة البيان ومنحه بلاغة التعبير ودقة التصوير ومس القلوب وإثارة النفوس، والقدرة علي تحريك العاطفة، وبناء علي هذا

---

(1) النقد الأدبي ص٥٢-٥٣، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.

(2) مسرحيات إسلامية (المروءة" ص١٢٣.

(3) المصدر السابق ص ١٣٤.

الأساس كانت الحاجة ماسة إلي أن يسارع الشرباصي الأديب الإسلامي إلي كتابة المسرحية الإسلامية لتعريف الإنسان بما يحمله الإسلام من القيم الخلقية والمبادئ الإنسانية وكيفية تطبيقها في الحياة ويقي أجيالنا المحاصرة من السقوط في براثن تيه الأفكار الهدامة والمذاهب المضللة والمعتقدات الفاسدة التي تعد بالمئات،

ز : **الموهبة** : إذا كان كثيراً من البواعث السابقة التي أسهمت في الإبداع المسرحي عند الشرباصي مكتسبة فإن الموهبة والاستعداد الفطري من أكثر البواعث تأثيراً في تحقيق هذا الإبداع.

ويقول الدكتور/ عبد العظيم المطعني :

"...إن الموهبة نعمة يزود الله بها من يشاء من عباده، واستعداد فطري يؤكد مع الإنسان وينمو بنموه، ولا دخل للإنسان فيه، وعلي أن الموهبة وحدها لا تكفي في صنع النموذج الأدبي المبدع بل لا بد من صقلها وتهذيبها حتي تؤدي ثمارها: فالموهبة مثل العود يغرس والصقل مثل الماء يمده بعناصر النمو والشموخ، حتي يزهر ويورق ويثمر، وإذا لم يتعهد العود بالسقيا والرعاية جف وذبل[1].

ولا شك في أن موهبة الشرباصي ومقدرته الإبداعية مكنته من الاهتمام بالأدب المسرحي لاستخدامه وسيلة تربوية تعليمية، لأن وسائل التربية تتجدد باستمرار ربما لا يتعارض مع قيمنا الإسلامية وتراثنا المجيد.

وأيضا لأن المسرح فن من فنون الأدب ولسان من ألسن الدعوة الإسلامية وعنصر من عناصر الحضارة الإسلامية المتوازنة الخالدة، التي تمتد أساليبها إلي السماء وفق تصورات واضحة صحيحة.

---

(1) مصادر الإبداع بين الأصالة والتزوير ص٣١، د/ عبد لعظيم مكتبة وهبة بالقاهرة الطبعة الأولي سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

والأديب عضو في مجتمع، وفرد من أمة يتفاعل ويعطي ويملك من جوانب الإبداع الأدبي ما يجعل في حياة أمته مهما وخطيراً[1].

وخبرة الشرباصي في مجال التدريس ما قبل الجامعي والجامعي يسرت له تبسيط المادة العلمية وتحويل جفافها إلي خبرات ذات معني يمكن استيعابها وتذوقها، أي أن المسرح يعد طريقة من طرائق التدريس.

وامتلاكه حظا موفورا من البيان والبراعة، وهما دعامتان أساسيتان للأدب مما ساعده على إبراز الحدث بالشكل الذى يتطلبه الموقف البنائى للعمل المسرحى والكلمة هى الخيط الذى ينسج منه العمل المسرحى، وهى اللبنة الأساسية للبناء المسرحى.

والمسرح الإسلامى لا يصدر إلا عن عقيدة إسلامية لاشيه فيها، وعن أديب مسلم موهوب يستشعر فى كل حروفه أنه فاتح مطالب بالفتح، ومجاهد محكوم عليه بمنطق المقاومة، لذا أفصح الأديب الشرباصى عما يتسم به الإسلام من انفتاح قابل وموصول، ومتأثر ومؤثر، يأخذ فى حدود ويعطى بلا حدود ومن خلال تلك الرؤية استطاع الشرباصى أن تتكون لديه الرؤية التى يعبر من منطلقها عن فكرة وموقفه من الحياة والأحياء.

ثانياً: مصادر المسرح عند الشرباصى:

لقد انطلق الأديب الشرباصى إلى خوض غمار التأليف المسرحى منفرداً ومشتركاً، ولإيمانه بأن المسرح لسان من ألسنة الدعوة الإسلامية وعنصر من عناصر الحضارة الإنسانية يتناول فيه ما يختاره من سير وأخبار ومواقف وأهداف تشع نبلاً ومروءة وعفة وجمالاً مجدداً القدوة التى يفتقدها شباب هذا الجيل التائه فى صحارى الظلمات، للأخذ بأيديهم إلى منهل الدعوة الإسلامية، حتى يصبح المسرح الإسلامى للإيمان سناداً، وللعربية صوتاً عالياً وللقيم الرفيعة منبراً إن هذا

---

(1) علاقة الأدب بشخصية الأمكة ص٢٩، د/ عبد الرحمن العشماوي مكتبة العيطان الطبعة الأولي ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م الرياضي.

الاتجاه من إحدى الوسائل فى إصلاح الخلق وبناء الشخصية وتحصين الشباب الحديد، مما انتاب الشباب فى السنين الأخيرة[1].

واستقى الشرباصى مادة مسرحه من التاريخ الإسلامى والواقع الاجتماعي، لذا فقد تنوعت المصادر التى استوحى منها موضوعات مسرحياته، ويأتي في مقدمتها التاريخ الإسلامي.

أولاً: المصدر التاريخي الإسلامي:

واهتمام الشرباصى بالتاريخ الإسلامى واتخاذه مصدراً لمسرحياته الإسلامية راجع إلى:

أ- إيمان الشرباصى القوى بصحة وسلامة منهج الإسلام، ودور المسرح فى حمل قيم الإسلام ونقلها إلى الناظرين أو القارئين: "والاعتماد على الماضى التاريخى فى الأدب والفن هرباً من الواقع قد يتخذ طابعاً إيجابياً بناءً إذا لم يقتصر على مجرد إثارة الماضى للاسترواح، وذلك حين يلوذ الكاتب أو الشاعر بالماضى فى حركة نفسية موارة تعود على الواقع بالنقد والتقويم تشدنا لمستقبل متحرر.

ومن هذه الناحية تختص المسرحيات التاريخية - وما يناظرها من القصص التاريخى - بميزة تفوق بها الآثار الأدبية الأخرى التى تقتصر على تصوير مستقبل حالم. ذلك أن التاريخ يزعم الحاضر ويساعد على الاقتناع بما يثار فيه من قضايا[2].

ويقول الشرباصى:

إننا اليوم أمة لابد لها من اليقين بأن حاضرها يجب أن يكون امتداداً لماضيها فى قيمها ومقوماتها ومثلها، وأن غدها يجب أن يكون وليداً لحاضرها، ونحن الآن نتعرض لمرحلة حاسمة من مراحل نضالنا وكفاحنا ضد أعدائنا الذين يتربصون بنا الدوائر عن يمين وشمال[3].

---

(1) مجلة الأزهر، المجلد السادس، الجزءان ١١، ١٢ فى غرة رجب ١٣٧٤ نوفمبر ١٩٥٥م، "المسرح الإسلامى".

(2) فى النقد النسرحى ص ٩٠، د محمد غنيمى هلال. دار نهضة مصر.

(3) المقدمة: مسرحيات إسلامية.

ب- إن التاريخ الإسلامى ملىء بشخصيات تنطبق عليهم مواصفات النماذج البطولية "الذين ضحوا بكل شئ فى سبيل العقيدة، ولم يتوانوا لحظة عن الجهاد فى سبيل الله، لحماية هذه العقيدة، وهذا ما عبر عنه الشرباصى بقوله: "وفى التاريخ الإسلامى العريض العميق مئات من الموضوعات والبطولات والقصص التى تصلح أن تكون مداً غزيراً موصولاً لمسرحيات مختلفة الأحجام والألوان والأهداف، ولو أتيح للمسرحية ما أتيح ويتاح لغيرها من رعاية وعناية وتأييد لكان للمسرح الإسلامى شأن جليل وأثر بعيد، ولاستطاع هذا المسرح أن يسهم إسهاماً جدياً واسع النطاق فى خدمة الإسلام والعروبة، وفى تزكية المبادئ السامية الكريمة التى نؤمن بها والتى نتكاتف اليوم لنعمر بها مجتمعنا الذى يقيم دعائمه على الإيمان والأخوة والكفاية والعدالة والحرية والعزة والكرامة"[1].

ج- إحساس الشرباصى الدينى العميق بالقضايا الاجتماعية لعصره، وبأمراض مجتمعه المعوقة له عن مسايرة ركب الحضارة العالمى، وتخلف الوعى الشعبى فى الأزمات الكبرى، وخاصة بعد نكبة ١٩٤٨م التى حلت بالأمة العربية والإسلامية على يد شرذمة من شذاذ الآفاق.

وكان الشرباصى متقداً الشعور مدركاً لحجم الكارثة التى حلت بالأمة، فعمل على إيقاظ الوعى فى وطنه وفى أمته وبث هذا الإحساس الاجتماعي فى مسرحه الإسلامى، وفيه يقرع مسامع الصلفيين من الحكام صراحة أحياناً وعن مواريه ومدارة أحياناً أخرى. على بناء خلق متين ليس مقصوراً على الصلاح، بل غايته الإصلاح المتجاوز لنطاق الفرد فى المجال الأرحب، وهو بناء الأمة على الهمة التى لا تفتر، وعلى إحاطة سياجها بجيش يصون استقلالها وعزتها.

يقول الشرباصى:

"وإذا كان قدر الله العادل قد ألقى علينا بالأمس درساً صارماً من دروس الابتلاء بالنكبات وعرضنا لموقف من مواقف التمحيص بالشدائد، فإن العمل الفدائى المؤمن ظل همزة وصل مباركة بين ماضى الجهاد وآتيه، واستبان لنا أن أمر هذه الأمة لن يصلح فى حاضرها إلا بما

---

(١) المقدمة: مسرحيات إسلامية.

يصلح به فى ماضيها المشرق الكريم، من استمساك بعروة الإيمان الوثقى، وتدرع بدرع اليقين الحصين واعتصام بحبل الله المتين، واجتماع على روح الجهاد حتى الاستشهاد والالتقاء على بيعة لله صادقة وفية، تباركها يد الله ويؤديها بعونه وهداه[1].

ومعايشة الشرباصى للكثير من المشكلات العربية والقضايا الإسلامية، التى تحفل ذاكرتها بالألم وتفيض بالحزن، فقد عكر الاستعمار صفوة حياة الأمة العربية والإسلامية وزادت الأوبئة فى أشجانها فعاشت الأمة العربية والإسلامية خائفة من نوائب الأيام جزعة من هيمنة الجور والظلم برمة بالفرقة التى تزيدها الأيام سعة والحكام جحيماً، لهذا اختار الشرباصى التاريخ الإسلامى ليدفع الحجة بالحجة على لسان شخصياته، لأن المسرح يحلل ولا يزعم، ويفسر ولا يتشبث، بجانب الإحساس العميق والدفق الروحى العارم الذى ملأ على الشرباصى أقطار نفسه أملاً فى الإصلاح ورغبة فى الخير لأمته الذى يتمنى أن يراها نضرة العود زاهية الحاضر مشرقة المستقبل مهما انتابها من خطوب وألم ونكبات ولإعادة الثقة بالإنسان العربى وإدخال الطمأنينة على روحه حتى لا يصاب بالخيبة وتلفه الحيرة فيجحد ماضى أمته ويكفر بحاضرها.

وإيمانه القوى بصحة منهج الإسلام فى دفع الشرور، ومقاومة الفساد، وإيمانه بدور المسرح الفعال فى حمل قيم الإسلام ونقلها إلى الأنظار.

ومن ثم فقد لجأ الشرباصى إلى التاريخ الإسلامى، وغاص فى أعماقه، وأخرج من روائعه الخالدة الذكر التى ذخرت بها دنيا الإسلام، فحولها إلى أعمال أدبية تحرك الشعور الوطنى والقومى والإسلامى، وهو فى هذا لا يخالف اتجاه كبار المؤلفين فى المسرح. فالتاريخ عظة الغابر الذى تتمثل حكمته فى واقعنا الذى نحياه، والإنسان مفطور على حب قراءة التاريخ باعتباره قصة الإنسانية المعذبة التى تتكرر مآسيها فى كل عصر، وتكون العظة الأخلاقية أشد تأثيراً حين تقوم على أساس تاريخى حدث فعلاً، فالتاريخ غابر قديم، وهو قائم فى حاضر متكرر ويلذ للقارئ الاستماع إليه[2].

---

(1) الفاتحة – الفداء فى الإسلام ص9.

(2) حوار مع الشاعر المسرحى عدنان مردم – مجلة الشعر – القاهرة، يناير ١٩٧٩م.

"...إن الصلة بين المسرح والتاريخ من اقدم موضوعات النقد الأدبي، وكان أرسطو أول من أثارها عندما يحدث عن مهمة الشاعر، وهو يقصد دائما المأساة أو التراجيديا ومهمة المؤرخ ويؤكد تاريخ الأدب هذه الصلة في ميل الكتاب المسرحيين إلي التاريخ، واتخاذه مادة لأعمالهم منذ عهد اسخيليوس الشاعر التراجيدي الإغريقي[1].

ومن هنا هرع الشرباصي إلي التاريخ الإسلامي ينهل من معين السيرة النبوية فكتب مسرحية (مشرق النور) عن مولد النبي صلي -ﷺ- واشترك مع الأديب فؤاد الطواخي، في (مولد النبي، وفارس الشهباء، وبطول) وغيرها، واستمد من التاريخ الإسلامي في عصر بني أمية (أبو حازم) والحجاج وسعيد بن جبير، ومروءة.

ويقول الأستاذ أحمد شوقي :

"...ومن أواوئل الخمسينات سار علي الدرب بتفوق واقتدار (فؤاد الطوخي) والعالم الإسلامي (أحمد الشرباصي) وقدما نتاجا وافرا من المسرحيات الإسلامية الكبيرة التي تعد علامات واضحة في هذا المجال[2]، وكان مسرحها نابعاً من التاريخ الإسلامي الزاخر بالقدوة الصالحة والعظات الباهرة، وكانا يهدفان من وراء هذا النتاج الفني إيصال دعوة الإسلام كاملة إلي الشباب الذي تجرفه موجة الإلحاد في ذلك الوقت، ونري ذلك بوضوح في مسرحية (بطول) التي عرضتها جماعة التمثيل بجمعية (الشبان المسلمين) في مايو ١٩٦٠م، بقلم الشيخ أحمد الشرباصي الرائد الديني للجمعية وقتها.

ويقول الأستاذ أحمد شوقي عن المسرح الإسلامي :

في المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ودوره في ازدهار المسرح الإسلامي :

"...المسرح الإسلامي في المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين يعد صفحة متميزة في تاريخنا الفني الديني وليس ببعيد ذلك اليوم الذي يحس فيه الناس هنا وهناك بجلال الرسالة التي ينهض

---

(١) الكلاسكية والأصول الفنية للدراما ص ١٢، د/ محمد مندور دار النهضة مصر.

(٢) المسرح الإسلامي ص ١٤٩.

بها المسرح الإسلامي، وليس ببعيد ذلك اليوم الذي يريد فيه أهل البصرة والبصيرة، أن من الواجب محو العقيدة والقومية، بل والإنسانية أن يعم هذا المسرح الإسلامي وينتشر ويذيع فيكون الإيمان سنادا وللعروة عماداً، وللعربية صوتاً عالياً، وللقيم الرفيعة منبراً.

ثانيا : المصدر الواقعي :

ولم يقف الشرباصي في مسرحه عند القصص الإسلامي والأحداث والمواقف التى تزخر، بها الأيام المضنية في التاريخ الإسلامي الزاخر بالقدوة الصالحة العظات الباهرة، بل يتقدم في أرض الواقع، ويسعي جاهداً ففى تناول بعض القيم الإسلامية كما في مسرحية (درس في الصدق) وفي هذه المسرحية يكشف الشرباصي عن صفة ذميمة وهي الكذب بطرقها المختلفة التي حدودها الشرباصي في ثلاث هى : (اللسان والإشارة والسكوت).

ثالثا : نماذج من مسرحيات الشرباصي :

١- مع مسرحه التاريخي الإسلامي :

إن التاريخ الإسلامي حافل بالعبر البالغة، والأخبار الطريفة والأخلاق العالية والأدب الرفيع، وقد أغرت الأديب الشرباصي هذه الكنوز الدفينة باستغلالها في تهذيب أبناء الإسلام وتدريب شبابه وتبصير قادته وذلك عن طريق الأدب المسرحي.

والمسرح مدرسة لا تضيق بها نفس طالب، وقد يجد الطالب كل هذه الأهداف في الكتاب ولكن شتان بين الكتاب والمسرح[1].

ونورد نموذجاً من مسرحية (مشرق النور)[2]، وهي تتحدث عن مولد الرسول- ﷺ.

ورقة بن نوفل : هنيئا لك يا عبد المطلب ما ساق الله عليك من خير.

وزيد بن عمرو :نعم إنها خير هدية تساق إلي الشيخ الجليل لتمسح علي قلبه بالهدوء والطمأنينة.

ورقة بن نوفل :لقد سمعنا النبأ السعيد في الطريق، فرجعنا عليك مهنئين مباركين.

---

(١) المسرح الإسلامي ص ١٢١.

(٢) مسرحيات إسلامية ص ٢٥-٢٦.

عبد المطلب: شكرا لكما وللسماء علي هديتها.

زيد بن عمرو: هل اخترت للمولود اسماً يا سيد البطحاء؟...

البشير الأول: مفكراً اسم للمولود؟...نعم يجب اختيار اسم له-ماذا تسميه؟...ماذا نسميه؟...وبعد لحظة تفكير أسميه محمداً.

ورقة : ولماذا اخترت هذا الاسم الذي لم تتعودوا التسمية به؟...

عبد المطلب : إنما اسميه محمداً، ليحمده أهل الأرض والسماء.

البشير الثاني: يا لعجائب الاتفاق: لقد سمعت حول بيت آمنة منذ هنيهة أنها قالت: أنها لما حملت بوليدها رأت في المنام من يقول لها يا آمنة انك حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع علي الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر حاسد، ثم سميه محمداً.

عبد المطلب : سيكون لابني هذا شأن-وكأني به قد ساد العرب وتبعه الناس هنا وهناك.

ورقة : أني لأشم ريح عهد جديداً يقبل علي الدنيا فيغير الله من أمرها وأمر أهلها إلي خير صلاح، فإن يرد الله بابنك مجداً يكن صاحب ذلك الإصلاح.

ويختم الشرباصي مسرحية (مشرق النور) بآخر حوار جري بين ورقة بن نوفل وأبي لهب يرد فيه ورقة علي تشكيك أبي لهب في صحة ما جاء في الكتب السابقة من البشري بنبي آخر الزمان.

أبو لهب : لك أيها الشيخ أن تصدق ما تشاء، ولكن لا أصدق إلا ما تراه عيني ونحن في انتظار ما تعدوننا به من أمر ذلك النبي المزعوم، وسندري يومئذ من يكون إن صح وكان.

زيد بن عمرو : ظني أنه لن يطول بك ولا بنا الانتظار، وسيكون ذلك النبي فتحاً جديداً في دنيا الناس، وتذل له أعناق ورقاب.

أبو لهب : فتقولوا ما تشاءون، فللناس عقول بها يفكرون.

ورقة : فما تريده قوة السماء لا تدفعه أيدي الضعفاء، وإني علي يقين من أن الأرض

ستشهد عما قليل عهداً، يذل فيه طغاة به تقاه، ولئن أدركني ذلك العهد لأبذلن في سبيله كل ما أستطيع من جهد ومال، فليتني أظل حيا حتى يجيء، اللهم لا تمتني حتى أشهد نور اليقين يسطع بين العالمين.

ولا يسعني في هذا المقام من تعقيب علي هذه المسرحية إلا ما قاله الشيخ الغزالي (يرحمه الله) في صحراء الجزيرة المنقطعة عن الحضارات كلها صنع محمد -ﷺ-، أمة عجباً قال العدو في وصف مقاتليها: "...إنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار هذه الكلمة تشير إلي طبيعة البناء الذي قامت عليه أمتنا".

إنه من الداخل تعاون علي البر، والتقوي وتأخ في السراء والضراء ومن الخارج رباط مستديم لمؤازرة الخير ودافعة الشر.

وميزة الرسالة التي اضطلعت بها امتنا أنها لا تسكت عن معروف ولا تسكت علي منكر وإنها تشتبك باسم الله مع شياطين الإنس والجن لتكف باسمهم وتكسر عدواتهم.

ولو لا ظهور الإسلام لبادت حقائق وفضائل، ولصارت الإنسانية قطيعاً آخر من الوحوش، الضاربة لا تتحرك إلا بغرائز السوء.

إن الأمة التي رفعت علم التوحيد هي وحدها التي قلمت أظافر القيصرة الأكاسرة والفراعنة، واحتضنت سواد الجماهير وقال نبيها لمن يريد طلبه : "...ابغوني في ضعفائكم، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم"[1]، أين هذه الأمة الآن؟...وأين في صوتها المجامع العالمية وأين النماذج التي تقدمها لدينها العظيم؟...

لا أقدر علي الجواب، أننا نحاول بشق الأنفس جمع الشتات وإحياء الموات، وما ندرك سهماً من نجاح إلا إذا أرينا الله من أنفسنا الصدق[2].

---

(1) رواه الترمذي وغيره.

(2) علل وأدوية ص ١٥٠، محمد الغزالي، دار العلم الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

إن مسرحية (مشرق النور) عمل جدير بالإعجاب وإذا كانت المسرحية تتناول مولد الرسول -ﷺ- فكان الشرباصي حريصاً علي حوادث السيرة في موضوعية دون إقتحام الرسول صلي -ﷺ- حتي وهو في المهد، ونلمس من خلال هذا الحوار أن كل شخصية تنبض بمميزاتها وتنطلق بما يتفق وطبيعتها فأعطي الحوار حيوية وحركة تتلاءم وأسس لكتابة المسرحية مما يكشف لنا عن أديب مزود بموهبة الفن المسرحي أو السليقة المسرحية ومما أوقد هذه الموهبة في نفس الشرباصي ما حصله من ثقافة إسلامية وعربية.

إن الكاتب المسرحي يولد بذرة الكتابة المسرحية[1]، وتتجلي براعة ومقدرة الأديب الشرباصي فيما كتبه من مسرحيات أخري ومن بين هذه المسرحيات مسرحية (الحجاج وسعيد بن جبير) ونورد نموذجا من هذه المسرحية.

وفي هذه المسرحية التي كتبها الشرباصي جادة الدولة الأموية وهي شخصية (الحجاج بن يوسف الثقفي) وهي من الشخصيات التي عاونت عبد الملك بن مروان، إلا أنها أصبحت ذات بريق خاص لما قامت به من مواقف دموية وأحداث كبيرة، وقد لا يعني هذا البريق قيمة تاريخية بناءة بل قد يكون عكس هذا تماما، فيربط بالتدمير للقيم الإنسانية النبيلة، ولكنه في الحالين يعكس إخلاص الشخصية لما تعتقده والسير بكل الجهود لتحقيق هذا الاعتقاد مهما اتسمت الجهود بالحدة و العنف والدموية.

ولعل قمة الأحداث المصاحبة لشخصية الحجاج بن يوسف الثقفي، هو رميه الكعبة المشرفة بالمنجنيقات بعد أن حاصر (عبد الله بن الزبير) شهوراً في مكة كما كانت نهاية الأحداث الدموية الرهيبة هو قتله للتقي الورع (سعيد بن جبير) دون جريرة.

مما جعل شبحه يؤرق الحجاج حتي مات وهذا هو الحدث الذي اقتصر عليه الشرباصي في هذه المسرحية وهو يقتل الحجاج (لسعيد بن جبير) الذي يقول عنه الشرباصي في مقدمة المسرحية هو الإمام الفقيه البكاء المجاهد الشهيد سعيد بن جبير- ﷺ-أحد أعلام التابعين ومن الثقاة

(١) فن الكتاب المسرحي ص ٧٤، روجز ويسيلفيد، ألان ترجمة وتقديم دريني خشبة.

الوعاظ الورعين وهو مولي بني والية بن الحارث وقد تتلمذ لعبد الله بن عباس، فأخذ عنه الحديث والتفسير ، وروي عنه الكثير وأخذ من كل علم بطرق، حتي صار أعجوبة زمانه علماً فقها وزهدي أو تقوي[1]، وقد نجح الشرباصي نجاحا كبيراً في تصوير هذا الموقف من حياة الحجاج فجاءت الشخصيات والحوار والأحداث والمواقف في قمة عالية بالإضافة إلي الأسلوب السهل والصياغة البارعة واللغة الفصيحة علي قدر كبير من التذوق الفني الذي يخاطب العقول ويكشف هذا الموقف عن دور العالم الفقيه الغيور الذي يتمسك بدينه فيدافع عن أقوي من جبروت الحجاج وعتوه لم يرضخ لم ينذل لم يصمت ولم يخفض صوته، بل بقي عزيزاً كريما جرئا وهذا ما يتجلي بوضوح في هذا المشهد من هذه المسرحية :

الحجاج : سأقتلك أيها الخارج المارق الشاق لعصا الطاعة.

سعيد : ذلك أمر الله لا إليك، إنه مالك الأسباب ورب الأرباب.

(وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)...أن الله عز وجل قد وقت لي وقتاً أنا بالغة فإن يكن أجلي قد حضر فهوا أمر قد فرغ منه، ولا محيص لي عنه ساعة من زمان وإن تكن العافية فالله أولي بها.

الحجاج : أنا أحب إلي الله منك.

سعيد : ومن يدريك؟...علم ذلك ربي وربك، إنه عليم بذات الصدور ولأي قدم أحد علي ربه حتي يعرف منزلته عنده، والله بالغيب أعلم، إنه علام الغيوب (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقي).

الحجاج:كيف لا أكون عند الله خيراً منك وأنا مع إمام الجماعة وأنت خارج مع إمام الفرقة؟...

سعيد :لست بخارج علي الجماعة، ولا أنا براض عن الفتنة، لكنه قضاء الله نافذ ولا مرد له، وهو رأي ارتأته، وعقيدة اعتقدتها والله يعلم المفسد من المصلح، ألا إلي الله تصير الأمور.

---

(1) مسرحيات إسلامية ص ٨٥.

الحجاج: ما رأيك فيما جمعت لأمير المؤمنين من الأموال والخراج؟...

سعيد : حسن إن قمت بشرطه، ووفيت بعهده، حتي ينجو من تبعته أمير المؤمنين وتنجو أنت كذلك منه.

الحجاج: وما شرطه...مستهزئا أيها الفقيه؟...

سعيد : شرطه أن تؤدي منه حق الله وحق العباد فيه، أو تشتري لأمير المؤمنين الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.

الحجاج: فهل تري ما جمعته طيباً؟...

سعيد : برأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه مني فاستفت قلبك ونفسك إن أفتاك.

الحجاج: ويجمع المال بين يدية ويمدها إلي سعيد أتحب أن لك منه شيئاً.

سعيد : بإباء، لا أحب إلا ما يحبه الله؟

الحجاج : ويلك، ما أجرئك علي، وما أحلمني عنك...

سعيد : ياطمئان، قلت لك إن الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار وأولئك هم الخاسرون.

الحجاج : اختر لنفسك قتلة أقتلك بها أيها اللعين؟...

سعيد : بل اختر أنت لنفسك يا حجاج، فو الله لا تقتلني اليوم قتلة إلا قتلك مثلها يوم القيامة.

الحجاج : كالمتراجع، أفتريد أن أعفو عنك؟

سعيد : مستنكراً، ومن أنت حتي تعفو عني؟...إن كان العفو فمن الله، أما أنت يا حجاج فلا براءة لك ولا مقدرة.

الحجاج : (مشيراً) علي اتباعه اذهبوا به فاقتلوه.....

يحملونه إلي الخارج فيضحك سعيد.

الحجاج : (يصرخ ردوه...لسعيد) ما الذي أضحك أيها الشقي؟...

سعيد : عجبت من جرأتك علي الله، وحلم الله عليك.

الحجاج : وكيف تتعجب وأنا اقتل من شق عصا الطاعة، وفارق الجماعة ومال إلي الفرقة التي نهي

الله عنها؟...(لأتباعه) اقتلوه اقتلوه...اضربوا عنقه هنا أمامي (يحضر الأتباع النطع ويفرشونه).

سعيد : إني أشهد يا حجاج أنه لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وإن محمداً عبده ورسوله، احفظ هذه الشهادة حتي ألقاك بها يا حجاج يوم القيامة الناس لرب العالمين.

الحجاج : (في غيظ) اضربوا عنقه (يهمون به).

سعيد : إذن دعوني حتي أصلي ركعتين (يتجه نحو القبلة ويقول):

(أني وجهت وجهي لله للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)

الحجاج :اصرفوه عن القبلة ووجهوه إلي قبلة الذين تفرقوا واختلفوا بينهم بغياً وعدوانا وإثماً وبهتانا فإنه من حزبهم بخروجه وعصيانه بما يصرفوه عن القبلة.

سعيد : **(ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم)**

الحجاج : لم نوكل كلا بالسرائر وإنما وكلنا بالظواهر (للاتباع) كبوه علي وجهه (يخفضون رأسه نحو الأرض).

سعيد : **(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخري).**

الحجاج : اذبحوه...اذبحوه...اذبحوه

سعيد : إني أشهدك يا حجاج مرة أخري أنه لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً -ﷺ- عبده ورسوله ، خذها مني يا حجاج حتي تلقاني بها يوم القيامة عند أحكم الحاكمين... اللهم لا تمهله يعدي ولا تسلطه علي أحد يقتله خلفي من المسلمين.

الحجاج : اقتلوه...اقتلوه...اقتلوه...اللعين (يتكبكبون عليه).

سعيد : اللهم لا تترك له ظلمي، واطلبه بدمي واجعلني آخر قتيل يقتله من أمه محمد عليه الصلاة والسلام.

الحجاج : (بغلظة) اقتلوه...

(يضربه أحدهم بالسيف فيسيل دمه غزيراً فينظره الحجاج خائفاً كأن رعدة قد مسته)

الحجاج : ما هذا؟...ما بال دمه يسيل بغزارة لا ينقطع؟...ما أكثر من قتلت من الناس، ولكن ليس بينهم في غزارة الدم مثل هذا القتيل!...

أحد الاتباع : أن هذا الرجل-أيها الأمير-قد قتلته ونفسه معه، فقد كان شجاعاً لم يخف ولم يرتجف ولذلك كثر دمه وغزر، لأن الدم تبع للنفس والذين كنت تقتلهم قبله كانت نفوسهم تذهب من الخوف والخشية، فقتل دمائهم عند قتلهم.

(الحجاج يهمهم كأنما قد استيقظ ضميره وأخذ يؤنبه)

الحجاج: ابعدو هذه الجثة اللعينة عني، احملوها واذهبوا بها بعيداً كي لا أراها...يا إلهي، ما هذه القشعريرة التي تشمل جسمي كأنها رعدة الهلاك، يحمل الأتباع جثة سعيد بن جبير، والحجاج لا يقوي علي النظر إليها من الهلع.

صوت سعيد : (منخفضا رهيبا) يا عدو الله لماذا قتلتني؟...يا عدو الله فيم قتلتني؟...يا عدو الله بأي ذنب قتلتني؟...يا عدو الله يا لعين آن لك ألا تنام...

الحجاج : ما هنا؟...ومن الذي يأخذ بخناقي وينادين؟...ياله من شبح مخيف أنقذوني...أغيثوني...

صوت سعيد : يا عدو الله لماذا قتلتني؟...فيم قتلتني؟... يا...

الحجاج : ويلي...ويلي...ويلي...مالي وسعيد بن جبير، مالي بسعيد بن جبير؟...يا طول شقوتك يا حجاج (يقع علي الأرض مذعوراً مرتعشاً).

الحجاج : إلي يا أجنادي...إلي يا أتباعي (يأتون مهرولين هذا شبح سعيد أمامي، يطاردني، ويأخذ بخناقي، ويمسك بتلابيبي وهذا شبح الموت مقبلاً نحوي...يريد افتراسي...مالي وسعيد بن جبير؟...مالي بسعيد بن جبير؟...شقيت وشقيت أمك يا حجاج يحمله الأتباع ويخرجون ما عدا واحد منهم.

التابع : سبحانك اللهم، أنت قيوم السموات والأرض، جلت وتعالت كلمتك تمهل ولا تهمل، وأنت علي كل شيء قدير...

لقد بغي الحجاج، و قتل الطيبين الطاهرين من عبادك وجنودك اتباعا للاثم والهوي، ثم قتل سعيد بن جبير التقي الورع، البكاء الشهيد وما علي وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلي علمه، وها أنت تنتقم لسعيد، فتأخذ الحجاج أخذ عزيز مقتدر جزاء ما أجرمت يداه، فسبحانك من منتقم جبار، وعزيز قهار، فاعتبروا يا أولي الأبصار، هذا المشهد من مسرحية الحجاج وابن جبير، يعرض موقفا من مواقف الإيمان الصادق واليقين الحق في التمسك بالعقيدة الصحيحة مهما لقي صاحبها من شدائد وخطوب علي أيدي الطغاة المستبدين وعتاه الجبابرة المتسلطين فلا تلين قناته، ولا يتزعزع يقينه ولا تفتر عزائمه، لأنه يعلم علم اليقين أن هناك قوة متينة تقتص له من قاتليه وتنتصف له من ظالميه فيقبل علي الأخر بنفس راضية، وغداً (سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون).

ولم يكن خروج سعيد بن جبير وانضمامه إلي الثائرين، هو الذي أودى بحياته بقدر ما يكون حديثة عن الظلم والطغيان والاستبداد وعدم السكوت عن الحكام الجائرين، هو الذي أدي إلي مصرعه علي أيدي أحد جلادي الأمويين هو الحجاج بن يوسف الثقفي، ويكفي أن نعرف أن الحجاج قتل، فيما يقال، صبراً وغيلة مائة ألف وعشرين[1].

وهذه هي نهاية كل مصلح إسلامي علي يدي الطاغية المستبد الذي يتصرف في شئون الرعية كما يشاء بلا خشية حساب، ولا رهبة عقاب، يسترهب الناس بالتعالي ويذلهم بالقهر والقوة وسلب الأموال، والتضييق عليهم في طلب المعاش حتي يخضعهم له، والحديث عن الظلم والاستبداد ومواجهة قهر السلطة لا يمكن أن يعد جرما أو خطا بأي مقياس اللهم إلا مقاييس السلطة الغاشمة، والحكومة المستبدة يتجلي استبدادها في كل فروعها من المستبد الأعظم إلي الشرطي إلي الفراش، إلي كناس الشوارع، ولا يكون كل صنف إلا من أسفل طبيعته أخلاقا ويقترب الشرباصي، في مسرحيته (الحجاج وسعيد بن جبير) من شكل المأساة اليونانية، لأن أرسطو ينص علي أن البطل المأساوي "...يتردي في هوة الشقاء، لا للؤم فيه وخساسة، بل لخطأ ارتكبه[2].

---

(1) العقد الفريد ط٣، ص٢١، لأبن عبد ربه.

(2) فن الشعر ص ٣٥، لارسطو ليس ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣م.؟

ومن مسرحياته الإسلامية" أبو حازم" وهي تتناول حقبة من تاريخ الدولة الأموية، وتقع أحداثها في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك سابع حكام بني أمية تولي الحكم من (٩٦هـ٩٩هـ).

ويهدف الشرباصي من كتابة هذه المسرحية وتقديمها لفت انتباه المتلقي، أن هناك جوانب مضيئة في حياة بعض حكام الأمويين، وليست كلها علي شاكلة ما كان في عهدي عبد الملك بن مروان وجلادة حجاج وغيرهما من حكام بني أمية من أمثال عبد بن الملك وابنه الوليد بن يزيد.

ومن هذه الجوانب المضيئة عهد سليمان بن عبد الملك الذي تقع فيه أحداث مسرحية (أبي حازم) ومن بعده عهد عمر بن عبد العزيز الذي بلقب خامس الخلفاء الراشدين وحازم (هو الرجل الصالح أبو سلمة بن دينار الصوفي الزاهد) والمسرحية تقع في فصلين، وهي تقدم صورة للحاكم المسلم الذي يعمر مجلسه بالزهاد والنساك من أمثال أبي حازم ورجاء بن حيوة والأوزاعي".

يقول شوقي ضيف :

وممن اشتهروا بوعظهم عبد الله بن عمرو بن العاص في مصر ورجاء بن حيوة والأوزاعي في الشام. وسعيد بن المسيب وأبي حازم الأعرج في المدينة ولثانيهما مواعظ كان يعظ بها سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز[1].

وتصور المسرحية مجلس سليمان بن عبد الملك الذي يؤمه طائفة من العلماء وعلي اختلاف مشاربهم فمنهم الصوفي والمحدث في مجلس واحد: مما يدل علي رحابة الأسلوب الإسلامي وسعة آفاقه.

"أما الأسلوب الإسلامي فهو أسلوب واسع سمح مرن، قادر على العطاء لأنه يستمد من نظرة جامعة وفكرة ربانية أصيلة وأخوة إسلامية عامة... وهذه الثوابت الكلية تجعل أوجه التقارب والائتلاف والتشابه أكثر من أوجه الخلاف، ولذلك فإن فكرة المستشرقين بإسلام عربي وإسلام

(١) العصر الإسلامي ص ٤٣٦، د/ شوقي صيف دار المعارف الطبعة الثالثة عشر.

فارس وإسلام تركي من فكرة مسمومة كاذبة مضللة، لأن روح لا إله إلا الله سيطرت على الأصول العامة وجعلت فوارق الأقطار والأمم قليلة يسيرة"[1].

وهذا النموذج من مسرحية أبى حازم "يعطى صورة واضحة عن معالم شخصية الحاكم المسلم ولما ينبغي أن يكون عليه".

سليمان: ألم يحضر أبو حازم بعد يا رجاء؟

رجاء: لما يحضر بعد يا أمير المؤمنين وقد أكدت عليه أمس فى دعوته ووعدني بحضوره.

سليمان: والإمام ابن شهاب ... ألم يحضر هو الآخر؟

مسلمة: لم يحضر بعد يا أمير المؤمنين.

الحاجب: الإمام محمد بن شهاب الزهري بالباب يا مولاي.

سليمان: فليدخل معززاً مكرماً.

الزهري: السلام على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ورحمة الله وبركاته.

سليمان: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، مرحبا بالشيخ ينهض له ويقول ها هنا يا إمام الحديث ... ها هنا إلى يميني يجلس الزهري على يمين سليمان.

الزهري: أعزك الله ونصرك كما أعززت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكريمك لرواته.

داود: ولم لا يفعل وعهد أمير المؤمنين ينهض على أساسين من دين وعلم!

سليمان: حدثني يا ابن شهاب، ما رأيك في أبى حازم؟...

الزهري: يقصد أمير المؤمنين أبا حازم الصوفي؟... معاذ الله أن أرمي الرجل بسوء ولكنى أرى فيه نزعة صوفية تغلبه، وأشهد منه إكثاراً من رواية الحديث دون إسناد.

مسلمة: [معترضا] إن أبا حازم ليس معنا أيها الإمام الجليل.

الزهري: معاذ الله أن أهضم نفس باغتياب مثل أبى حازم، فإن ما بيننا من الخلاف لم يبلغ ديننا ولم ينل أخلاقنا.

([1]) العودة إلى المنابع، صـ ٣٠، ٣١.

الحاجب: الشيخ أبو حازم الصوفي بالباب.

سليمان: "فليدخل"، ويدخل أبو حازم وعصاه بيده، وهو يعرج.

أبو حازم: "السلام عليكم" دون أن يخص الخليفة بالتحية.

الجميع: [لوصوت سليمان غير ظاهر] وعليك السلام ورحمة الله. [يقف أبو حازم متطلعا قليلا... سليمان لا يقف له... ويجلس أبو حازم على المقعد الخالى على يسار سليمان، ويلقى عصاه.

سليمان: يا أبا حازم...

أبو حازم: [فى صرامة] نعم يا أمير المؤمنين.

سليمان: ما هذا الجفاء الذى ظهر منك، وأنت توصف برؤية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع فضل ودين تذكر بهما؟

أبو حازم: وأي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين، حتى تقول عنى ما قلت؟

رجاء: يقصد أمير المؤمنين أنك لم تخف للقائه، وذلك واجب عليك له.

أبو حازم: [للرجاء] مستنكراً ألا تترك المجال لأمير المؤمنين كى يقول ما يقصد؟

سليمان: [ممتدا قليلا] إنه-يا أبا حازم- قد أتاني وجوه أهل المدينة وعلمائها وخيارها، وأنت معدود فيهم، ولم تأتني فلماذا؟

أبو حازم: أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن يا أمير المؤمنين... وهل جرت بيني وبينك معرفة سابقة آتيك عنها؟

الزهري: [متعجلا] وأين مودة الإسلام ومعرفة الإيمان؟

أبو حازم: ان كان هناك معرفة من ذلك الوادي فهي باقية على البعد والقرب، وكل مودة يزيد فيها اللقاء فهي عليلة مدخولة، وما تعنينا شقشقة اللسان عن واقع الأمر شيئاً، وإذا صرت في زمان يرضى فيه القول عن العمل وبالوجوه عن القلوب، وبالأشباح عن الأرواح، وبالصور عن الخبر، فأنت في شر ناس وشر زمان.

مسلمة: حسبك أيها الشيخ- رحمك الله- حسبك!

سليمان: دعه يا مسلمة، دعه فقد صدق الشيخ.

أبو حازم: وفقك الله لليقين يا أمير المؤمنين، وعصم قلبك من هوى المبطلين.

سليمان: قل لي يا أبا حازم ... لماذا نكره الموت؟

داود: [هامسا] وما لنا وللموت الآن حفظ الله أمير المؤمنين؟

أبو حازم: [هازا رأسه مستعبرا] لماذا نكره الموت؟ لماذا تكرهون الموت؟ انتم تكرهون الموت لأنكم خربتم أخرتكم وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون الانتقال من العمران إلى الخراب، كل عمل تكره الموت من أجله فأنت تكره، ثم لا يضرك حتى يكون الموت، فإن العاصي يفر من الموت لكراهية لقاء الله الحسيب العليم، ولكن أين يفر من هو في قبضة من يطلبه؟

سليمان: صدقت يا أبا حازم... صدقت

رجل من الجالسين: إي والله صدق الإمام الجليل... صدق الصوفي الأمين ... الجالسين[1].

ويتجاذب الحضور أطراف الحديث مع أبى حازم في مجلس سليمان بن عبد الملك فيسألونه ويجيبهم.

رجل آخر: أيأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل الشيخ أبا حازم سؤالا؟

سليمان: دونك فأسأله.

الرجل: يا أبا حازم إننا نحب الدنيا حبا جما، مع علمنا بأنها ليست لنا بدار قرار، وقد صار حبنا لها طبيعة فينا، فما المخرج من ذلك المأزق رحمك الله؟

أبو حازم: الأمر ميسور لمن يسره الله له. انظر ما أعطاك الله عز وجل منها، فلا تأخذه إلا من حله، ولا تضعه إلا في حقه، ثم لا يضرك حب الدنيا بعد هذا.

الرجل: جزيت خيرا عن سنة الهدى والرشاد يا أبا حازم ...

سليمان: فكيف القدوم على الآخرة يا أبا حازم؟

---

(1) مسرحيات إسلامية صـ ٤٧: ٥٠

أبو حازم: [هازا رأسه] القدوم على الآخرة؟: أما المطيع المحسن فإنه يقدم على الآخرة كقدوم الغائب عن أهله المشتاقين إليه حين يقبل عليهم من سفر بعيد، وأما العاصي المسيء فيقدم على الآخرة قدوم الآبق على سيده الغضبان، يؤخذ بناصيته ... ويؤتى به إلى سيد شديد غليظ، فإن شاء عفا، وإن شاء عذب.

مسلمة: وما الوسيلة للنجاة يا أبا حازم في ذلك القدوم المخيف الرهيب.

أبو حازم: اضطجع، ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ما تحب أن يكون لك تلك الساعة فخذ فيه، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه من الآن، ومتى أحسنت الاستعداد للموت، فقد ضمنت أمر القدوم على الآخرة.

سليمان: ليت شعري- يا أبا حازم- ما لنا عند الله؟...

أبو حازم: اعرض نفسك على كتاب الله يا أمير المؤمنين، فإنك بذلك تعلم ما لك عند الله.

سليمان: وأين أجد تلك المعرفة فى كتاب الله؟...

أبو حازم: عند قوله تعالى

(إن الإبرار لفى نعيم، وإن الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين، وما هم عنها بغائبين)[1].

وما زال سليما بن عبد الملك يسأل وأبو حازم يجيب.

سليمان: فما تقول فيما ابتليتنا به يا أبا حازم من الملك والسلطان؟

أبو حازم: أعفني من هذا ومن الكلام فيه أصلحك الله.

سليمان: بل تقول، وإنما هى نصيحة تلقيها والدين النصيحة، وأنت آمن كل الأمن.

أبو حازم: ما أقول فى سلطان استولى عنوة بلا مشورة من المؤمنين، ولا اجتماع من المسلمين، فسفكت فيه الدماء الحرام، وقطعت به الأرحام وعطلت به الحدود، نكثت به العهود،

---

(1) مسرحيات إسلامية صـ ٥٠، ٥١.

وكل ذلك من الناس على حب الطينة والجمع لمتاع الدنيا المشينة، ثم لا يلبث هؤلاء أن يرتحلوا، فيا ليت شعرى ما تقولون؟ وماذا أقول لكم؟ ... [يتغير وجه سليمان].

داود: أهذا كلام يواجه به أمير المؤمنين؟

أبو حازم: اسكت يا بنى، فإن الله قد أخذ على العلماء أن يبينوا للناس ولا يكتمون شيئا.

سليمان: وكيف لنا أن نصلح ما فسد من أمرنا يا أبا حازم؟

أبو حازم: المأخذ فى ذلك قريب يسير يا أمير المؤمنين.

سليمان: [متلهفا] وما هو؟ عجل.

أبو حازم: تأخذ المال من حله وتضعه فى أهله، وتكف الأكف عما نهيت وتعلمها فيما به أمرت.

سليمان: ومن يطيق ذلك؟

الزهري: أهذا كلام يقال لأمير المؤمنين؟

أبو حازم: [محتدا] وما تريد مني أن أقول يا هذا؟ حقا لقد أهلك فرعون هامان وأهلك هامان فرعون ... حسن كل منهما لصاحبه أمره فهلكا.. ألست القائل يا بن شهاب ثلاثة إذا كانت فى القاضى فليس بقاض، إذا كره اللائم، وأحب الحامد، وخشي العزل".

الزهري: ذلك من قولى، فماذا فيه؟

أبو حازم: وأمير المؤمنين قد جعلني حين سألني إخلاص المشورة، ولست بكاره لومه، ولا محب حمده، ولا بخاش عزله، فليتملقه غيري...

سليمان: أصبحنا يا أبا حازم، وتوجه معنا تصب منا ونصب منك.

أبو حازم: أعوذ بالله من ذلك، إني أخاف أن أركن إلى الذين ظلموا، فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات، وصدق ربى إذ يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا، إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات، ثم لا تجد لك علينا نصيرا" وإذ يقول لعباده:

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون)

سليمان: فهل تزورنا يا أبا حازم؟

أبو حازم: إنا عهدنا الملوك يأتون العلماء ولم يكن العلماء يأتون الملوك فكان فى ذلك صلاح للفريقين، ولقد أدركت الأمراء والسلاطين وهم يسعون إلى العلماء، ويقفون على أبوابهم كالعبيد، ثم صرنا فى زمان أصبح العلماء يأتون فيه الملوك تقعد عند العلماء، فصار فى ذلك فساد الفريقين جميعا، ولقد أصبح الفقهاء والعلماء يأتون الأمراء والأغنياء، فلما رأى الأمراء والأغنياء منهم ذلك ازدروهم واحتقروهم، وقالوا: لولا أن الذى بأيدينا خير مما بأيديهم ما فعلوا ذلك معنا.

مسلمة: إني اشتم رائحة الحق والصدق فى هذا المقال.

الزهري: لكن العالم قد يحسن به أن يسعى إلى الولاة، ولو لم يسعوا إليه ليبلغهم كلمة الله، وليلزمهم الحجة، لأن كاتم العلم ملعون.

أبو حازم: اتق الله ... خرجنا من وضح الواقع إلى آفاق التأويل.

سليمان: فأوصنا يا أبا حازم.

أبو حازم: اتق الله حتى لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك..

سليمان: أليس لك حوائج ترفعها إلينا؟

أبو حازم: قد رفعتها إلى من لا تخذل دونه، فما أعطاني منها قبلت، وما أمسك عنى رضيت، مع أنى قد نظرت فوجدت أمر الدنيا ينتهي إلى شيئين: أحدهما لي والآخر لغيري، فأما ما كان لي فلو احتلت عليه بكل حيلة ما وصلت إليه قبل أوانه أو حينه الذى قدر لي، وأما الذى لغيري فذلك لا أطمع فيه، فكما منعني ربى رزق غيري كذلك منع غيري رزقي، فعلام أقتل نفسي فى الإقبال والأدبار حيث لا فائدة؟

سليمان: عجباً لك يا أبا حازم ... [ينادي] يا غلام ...

الحاجب: لبيك يا أمير المؤمنين.

سليمان: هات ألف دينار.

أبو حازم: قف يا غلام [لسيلمان] ولمن هذه الألف يا أمير المؤمنين؟

سليمان: تستعين بها على شئونك.

أبو حازم: لا حاجة لي بها، لأني وغيري فى هذا المال سواء، فإن سويت بيننا وعدلت أخذت، وإلا فلا، لأني إما أن يكون ذلك ثمنا لما سمعت من كلامى، وأن موسى عليه السلام لما سقى لابنتي شعيب وأراد شعيب أن يكافئه قال: إني من بيت قوم لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا... وهذه الدنانير يا أمير المؤمنين إن كانت ثمنا لما سمعت من كلامي، فإن أكل الميتة أو شرب الدم فى حال الضرورة أحب إلى من أن آخذها.

الزهري: أهذا كلام يقال لأمير المؤمنين؟

سليمان: [متأثرا] اسكت يا زهري، فإني راغب فيما يقول.

أبو حازم: إني والله أنصح لك يا أمير المؤمنين من سواي.

سليمان: جزيت خيرا يا أبا حازم... ولكن لابد أن ترفع إلينا حاجة نقضيها لك؟

أبو حازم: وتقضيها يا أمير المؤمنين؟

سليمان: نعم أقضيها، وأقسم على ذلك.

أبو حازم: إذن فلا تعطني شيئا حتى أسألك، ولا ترسل إلي حتى آتيك وإن مرضت فلا تعدني، وإن مت فلا تشيعني، أيأذن لي أمير المؤمنين.

سليمان: [وقد بلغ به التأثر مبلغه] أبيت أبا حازم أبيت؟ أبيت أبا حازم أبيت متأثراً سليمان بالله... ما كنت والله أظن أنه قد بقى فى الدنيا مثل هذا... وفى هذا الحوار الذى دار بين أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وأبي حازم الصوفي العارف بربه تذكير بالفطرة التي فطر عليها الإنسان فهو يدرك أن العدل حسن والظلم قبيح وأن العلم مفخرة والجهل معرة وأن الطهر سمو والعهر سقوط.

ويقول الشيخ الغزالي: "ومع تجاوب المرء مع فطرته، ومع تعاونه مع أشباهه يمكن إقامة مجتمع مدني أدني إلى روح الدين، أو أقرب إلى تعاليم الإسلام[1] من أجل ذلك قال الله لنبيه ولمن اتبع من المؤمنين الذين آثروا الفطرة: (منيبين إليه، واتقوه، وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون)[2].

ويحث الشرباصي من خلال مسرحيته "أبي حازم" ذوي السلطة والسلطان على مجالسة العلماء والصالحين ويرغبهم فى ذلك.

يقول الغزالي: "وصحبة العظماء نعمة جليلة، إن ساعة مع جليس صالح تنفحك من خلائقه ما ينفحك حامل المسك، كما ذكر ذلك النبى الكريم، نعم قد تستفيد فكرة نيرة أو خلة طيبة، أو قدوة حسنة ذاك فى لقاء عابر فكيف إذا طال اللقاء ودامت العشرة[3].

كما يكشف الشرباصي فى هذه المسرحية عن الجانب المشرق فى حياة المتصوفين قدمه من خلال شخصية "أبى حازم الصوفي".

لقد استطاعت براعة الشرباصي في هذه المسرحية أن تجعل العامل الزمني والبيئة والأمس البعيد في خلفية الصورة، لتستوعب القضية التي تعيش في كل زمان ومكان. أما مسرحيته " مؤمنة جاهدت" يقول عنها الشرباصي مستوحاة من روح حادثة تاريخية" وهذه الحادثة لعلها قصة الخنساء واستشهاد أبنائها الأربعة في الإسلام.

فقد وفدت الخنساء مع بني سليم علي رسول الله صلى الله عليه، وأسلمت على يديه وأنشدته شعرها فاستحسنه، وكانت إذا قدمت إليه استزادها من إنشاد الشعر ولربما قال لها: هيه يا خناس... ولم تترك البكاء على صخر ومعاوية على الرغم من اللوم والتعنيف.

---

(1) علل وأدوية صـ ٥٩.

(2) سورة الروم: الآيتان ٣٢، ٣١.

(3) علل وأودية ص ١٤٦.

وقد أنجبت الخنساء أربعة بنين، حتى إذا كان يوم القادسية حضتهم على القتال بكلمات رائعة. فهجموا يوم المعركة كالأسود واستشهدوا جميعا رحمهم الله، لما جاءها النعى بمصرعهم، لم تزد على أن قالت: الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم فى مستقر رحمته وكان ذلك الموقف الرائع من الخنساء دليلاً ساطعاً على قوة الإسلام فى تربية النفوس.

وهذه المسرحية تتكون من فصل واحد موزعة على ثلاثة مناظر تحكى وقائع هذه المسرحية قصة "مؤمنة جاهدت" التى تبدو فيها "أميمة" المؤمنة" وهى بطلة حريصة على معرفة الأخبار عن المعارك التى تدور بين المسلمين وأعدائهم وتحض أخواتها الأربعة على الجهاد فى سبيل الله على الرغم من حاجتها إلى أخواتها لوفاة والديها، ولكنها لا تبالي بوحدتها وأثر ذلك على نفسها وتدعوهم إلى اللحاق بالمجاهدين فتقول مرحباً بمقدم أخيها عامر:

أميمه: مرحبا بالشقيق العزيز والأخ الغالي، ما وراءك من أنباء الجهاد يا أعز الأشقاء؟

عامر: لقد بدأت المعركة بين المسلمين والكافرين، وهى الآن على أشدها، وقد أخذ العلماء والوعاظ يحثون الشباب على الخروج إلى الجهاد فى سبيل الله والوطن.

أميمه: وما اعتزمت أنت وأخوتك؟ ... ألا يكون لأسرتنا لواء صدق بين المجاهدين؟

عامر: حياك الله يا أميمه، لأنت نعم المؤمنة بالله، الواثقة بنصر الله ... سأخرج أنا وأشقائي الثلاثة: حسام، وناصر، وعز الدين إلى ساحة الكفاح.

أميمه: "باضطراب" أنتم الأربعة، وأبقى هنا وحدي؟ ... فليكن، فإني صابرة ولكن من الذى يرعى شئوني يا عامر، وقد استأثرت رحمة ربى بالأم والأب؟

[يدخل الأخوة الثلاثة وقد سمعوا حملتها الأخيرة]

حسام: يرعى شئونك رب السموات العلي يا أميمه ... (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين)

أميمه: آمنت بالله رب العالمين، صانكم الله فى مغداكم وما بكم، وأعز كلمة الإسلام الأوطان بشجاعتكم، وردعكم- إلى أختكم المحبة لكم سالمين.

عز الدين: أو كتب لنا الشهادة فى سبيله لنموت غانمين، والله خير الوارثين.

ناصر: صدقت يا عز الدين فذلك منتهى الفوز للمؤمنين:

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة...)

ثم تسأل أميمه أشقائها عن نصيب لها فى هذا الجهاد.

أميمه: وأنا يا أشقائي؟ أليس لي من نصيب فى هذا الجهاد؟ ألا أستطيع أن أؤدي قسطاً من الواجب فى المعركة؟

ناصر: أن الله قد وضع عن المرأة الجهاد، وأمرها أن تلزم بيتها، إلا عند الضرورة.

عامر: لا لا يا ناصر، لا تقل هذا، فإن النساء شقائق الرجال، "ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف" ولقد جاهدت فتيات وسيدات فى الصدر الأول، وكانت كتيبة النساء فى الغزوات تتبع كتيبة الرجال.

عز الدين: لكن النساء فى هذه الغزوات يا عامر كن بعيدات عن ساحة الوغى وكان عملهن مقصوراً على حراسة المتاع، وتضميد الجرحى، وتمريض المرضي وإمداد المقاتلين بالماء والغذاء ... وتسأل أميمه أشقاءها فى إلحاح عن دور المرأة فى الجهاد ويأتيها الجواب على لسان أخيها حسام فيقول: لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جهز غازياً فقد غزا ومن خلفه بخير فى أهله فقد غزا" ويعد لها حسام ما يمكن أن تقوم به المرأة المسلمة فى الجهاد: أن تخيط للمجاهدين الثياب، وتنسج الخيام، وتعد الطعام والشراب، وتجهز الأدوية وترعى أسر الشهداء وتعنى بتربية الأولاد...

أميمه: أعاهدكم يا أشقائي أن أبذل فى سبيل الله جهدى، وأن أعمل ما فى طاقتي لمساعدة المجاهدين من المؤمنين وتودع أخوتها.

حسام: رعاك الله يا أميمه، وكتب لنا النصر المبين.

وفي المنظر الثاني يطالعنا الشرباصي بأ ميمه وهي جالسة في حجرتها وهي تناجي نفسها متضرعة إلي ربها في مناجاة طويلة :

أميمه : يا إلهي ما أشد الفراق ، لقد ذهب الأخوة الأعزاء الأربعة يجاهدون في سبيل الله، وبقيت ها هنا منفردة...فيا هول ما القي ولكن ما هذا الضعف يا أميمة؟...إن أخوتك قد مضوا إلي أكرم غرض وأشرف غاية، أنهم رحلوا ليرفعوا لواء عقيدة عز بها الوجود وليدفعوا عنا عار السبي وذلة الأسر، وقيد الهوان إذن فلاحتمل في سبيل الله ما ألاقي والله لا يضيع أجر العالمين...(طارق يطرق عليها الباب).

أميمة : من الطارق؟...

الطارق :جند من جنود الإسلام في المعركة الدائرة بين المؤمنين والفاسقين، أأنت الفتاه المؤمنة الصالحة أميمة؟...

أميمة : نعم سيدي... فكيف حال اخوتي؟...

الطارق :أكرمهم الله، أكثر من سواهم، فأثرهم برحمته ورضوانه فاختارهم إلي جواره شهداء، وما عند الله خير وأبقي.

أميمة : (فزعة) اخوتي؟...الأربعة؟...(تبكي)...وتسترجع (إنا لله وإنا إليه راجعون)...اللهم ألهمني الصبر، ولا تحرمني الأجر ثم تقول : "...اللهم إني جعلتهم عندك ذخرى يوم الحساب ثم تعود إلي الحديث مع نفسها، وماذا أصنع الآن؟...وأين قبور اخوتي؟...لا بل أين سلاحهم، لأحمله مجاهدة في سبيل ربي وديني وبلادي؟...رباه ماذا أصنع لأودي واجبي وأثأر لأخوتي؟...وفي أثناء هذه المناجاة تسمع طرقات علي الباب.

أميمه : من الطارق.

صوت فتاه : افتحي يا أميمة...إني أسماء ومعي لمياء.

أميمه : متجلدة، مرحبا مرحبا بخيرة الأتراب وزينة العذاري، مرحبا يا لصديقتي العزيزتين والجارتين الوفيتين.

أسماء : ما بك اليوم يا أميمه؟...

أميمه : لا شيء (باستغراب) وكيف هذا ولونك الفضي قد أصابه الشحوب وعيناك الجميلتان فيها بقايا الدموع؟...

أسماء : بلهفة، ومن أنبا لك؟...وهل عاد المجاهدون؟

أميمة : جاءني اليوم رسول من الميدان، أخبرني بذلك.

لمياء : يا للفاجعة...الأربعة جميعاً...يا لهول الكارثة...

أسماء : أخطأت التعبير يا لمياء...بل قولي: "...إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله علي ما قضي وقدر، ونعمت الشهادة للأبرار.

وبعداً للحديث عن المعركة الدائرة بين المؤمنين والباغين وماذا يقدمن وبما يشاركن في هذه المعركة.

أسماء : نعمت الفكرة، أما أنا فعندي عقد ثمين من اللؤلؤ سأبيعه وأبعث بثمنه إلي المجاهدين...ليزيدوا به في السلاح.

لمياء : وأنا أنا فلأبي تجارته الواسعة ما يجعلني أطمع في تبرعة بجانب ما يحتاج إليه المجاهدون من زاد وثياب.

أميمه : (يتفجع)...ماذا أصنع يا رباه؟...وتلوح لها فكرة تكون حافزاً للذين تخلفوا عن شهود المعركة علي الرغم من حديث أمام المسجد وخطابته فيهم.

أسماء : يا لها من فكرة ليجعلها هدية لمن يسبق إلي جهاد من هؤلاء المتخلفين، فيتخذ منها لجاما لفرسه في الميدان.

أميمه : إذن فلأنفذها...أين المقص...وتبدأ في قص شعرها...اللهم تقبل مني، وارفع عملي القليل في أعمال المخلصين إنك نصير المؤمنين المستضعفين.

إسراء : فلتفعل، وفي سبيل الله يهون الفداء.

والمسرحية حافلة بالأحداث التي تعين علي تحريك الصراع عن طريق الحوار لأن النص المسرحي تبينه المواقف، وأداءة التعبير فيه الحوار، ويأتي المنظر الثالث من هذه المسرحية

بمواقفه فيزيد من الأحداث ويعين علي تحريك الصراع حوار طبيعي لا كلفة فيه يدور جنديان مسلمان هما :

مسلمة : أرأيت يا عمار كيف أتم الله النصر علي المؤمنين، وجعل كلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم؟...

عمار : أتذكر يا مسلمة السبب الذي أدي إلي النصر المبين؟...

مسلمة : نعم إحكام الخطة من القائد، وإخلاص الجنود في التنفيذ.

عمار : لا لا يا صاحبي ليس هذا هو السبب، وإن تكن له قيمته وجلالته إن السبب، ثلاث ضفائر، وخطبة إمام في المسجد.

مسلمة : وي يا عمار لقد ذكرتني ما كنت ناسياً، ذكرتني ذلك الموقف المزلزل لدي وقفه إمامنا العظيم في المسجد الجامع، مازلت والله، أذكر كلماته التي قالها، وهو يندد بضعفنا وتخاذلنا، ويعرض علينا صورا من بطولات أجدادنا، ويدعونا إلي أن نعيش أو نموت شهداء.

عمار : بل الأشد من ذلك تأثيرا صعوده علي المنبر، وفوق كتفيه الضفائر، والهم العميق القاتل الذي يبدو علي وجهه، والدموع تتحير فى عينه، والناس حائرون لا يدرون حقيقة ما هناك.

مسلمه : ثم قص علينا قصة الفتاة المؤمنة الصابرة أميمة، وكيف أخواتها الأربعة وكيف جزت مع صديقتها أسماء ولمياء شعورهن.

عمار : وأقسم لك يا صحبى، لقد أحسست حين ألقي هذه الضفائر فوق الجميع وهو غاضب ثائر كأنها حراب مؤلمة تشك جنوب الحاضرين، وتحيي فيهم الرجولة الراكدة، وتذكر بأنهم رجال بلحي وشوارب، وليسوا نساء بضفائر وذوائب، فكيف قعدوا مع الخوالف وتقاعسوا عن الجهاد أو كأنها سيوف بتارة تقطع رقاب الخاشنين، وتوقد الشجاعة في صدور المتقهقرين، فإما أن يتقدموا وأن يكونوا نساء، فخرجنا فزعين مكبرين وسارعنا إلي المعركة مجاهدين فأعز الله بنا كلمة الدين وكتب لنا النصر المبين.

مسلمه : بل الأعجب من هذا في صنع أخوة أميمة الأربعة لم يموتوا كما أشيع، بل رأيناهم في المعركة يجاهدون وكانوا كالأعلام بين الأبطال ما مال الجيش يميناً أو شمالاً إلا كانوا أسبق الناس إلي القتال وأحرصهم علي الشهادة أوالانتصار.

عمار : إنها تكون بلا شك الفرحة الكبري لأميمة حين يبلغها خبر النصر ونجاة أخوتها معاً.

مسلمه : الفضل في ذلك لأختكم المؤمنة الصابرة وإمام المسجد العظيم.

عامر : بل الفضل لكرام المجاهدين الذين باعوا بالدين بالدنيا.

ناصر : بل الفضل كله لله رب العالمين.

حسام : نعم، فقد قال وهو أصدق القائلين : "...والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين".

وفي هذه المسرحية نحس بوضوح الفكرة في ذهن الأديب الشرباصي التي استوحي منها موضوع مسرحيته (مؤمنة جاهدة) عن قصة (أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاري وهي وافدة النساء علي الرسول -ﷺ- وقد شهد لها الرسول بالبلاغة وتمام العقل، مجاهدة عظيمة وبطلة مغوارة خاضت المعارك وقاتلت كما قاتل أعظم الأبطال الشجعان: :...شهدت معركة اليرموك وقتلت يومئذ بعمود تسعة رجال من الأعداء يقول عنها الإمام ابن حجر، هي أسماء بنت يزيد بن السكن، شهدت اليرموك وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها وعاشت بعد ذلك دهراً[1]، وهي تغترف موضوع المجد هو الذي فرض علي المسرحية أن تتخذ في غالبية مناظرها شكل الحوار الثنائي الذي يجسد القدرة الصالحة من البطولات الإسلامية عبر التاريخ النابعة من المنهل العذب للسيرة الخالدة والمواقف الرائعة والقدوات الرائدة.

ثانياً : المصدر الاجتماعي :

لم يكتف الأديب الشرباصي بما قدمه من مسرحيات إسلامية وتاريخية، بل أسهم بدور فعال من خلال عمله معلماً ومربياً في الأزهر الشريف وداعية وخطيباً وموجهاً في وسائل الأعلام

---

(1) الإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٢٩٩، لأبن حجر العسقلاني ١٣٥٨/١٩٣٩م.

ورائد الجمعيات الشبان المسلمين والمحافل الدينية والاجتماعية، ولعل في احتكاكه بطوائف متعددة من أفراد المجتمع الذي يحيط به، كل هذا كان ثمرة لمسرحيته (درس في الصدق) وهذه المسرحية كما يقول الشرباصي عنها : (مأخوذة عن اللغة الإنجليزية بتصرف، وهي مسرحية كما يقول الشرباصي عنها : مأخوذة عن اللغة الإنجليزية بتصرف، وهي مسرحية أخلاقية تتكون من فصل واحد.

ولعل الشرباصي وهو ينقل هذه المسرحية عن لغة غير لغته التي يخاطب بها من حوله والتي تهدف إلي التمسك بنحلة الصدق وتنشئه النشئ عليها يدعو من خلالها إلي الترغيب في فضيله الصدق والترهيب من صفة الكذب والتنفير منها، وإن أبناء الإسلام أحق وأجدر من غيرهم في التمسك بهذه الفضيلة وأن ينأوا بأنفسهم عن رذيلة الكذب.

والتاريخ الإسلامي ملئ بالصور والنماذج الحية في الدعوة إلي الصدق، ولا شك في أن المسرحية عمل مفيد ونموذج رائع يحبب إلي النفوس الصدق ويرغب فيه، ويكره إليها الكذب ويبغضها فيه.

ونسوق مشهدا من هذه المسرحية يصور المكان الذي دارت فيه الأحداث والحوار الذي دار بين أشخاص هذه المسرحية.

المدرس :فلنفرض أن صبيا كان عائدا من المدرسة إلي البيت فرأي في طريقه خاتما ملقي علي الأرض فما الذي سيفعله الصبي؟...

طالب : سيلتقط الخاتم.

المدرس : حسنا: التقط التلميذ الخاتم، فوجده مصنوعا من مادة صفراء وفي وسطه فص أحمر...والأن تري ما الذي يريد أن يعرفه التلميذ؟...

طالب : إنه يريد أن يعرف أمن الذهب هذا الخاتم أم لا؟...وهل هذا الفص جوهرة لها قيمة؟...

المدرس :أحسنت تفضل بالجلوس، استمعوا إلي لقد ذهب الصبي بالخاتم إلي الصائغ وآراه الخاتم فاخبره الصانع أن الخاتم زائف وليس يذهب، وأن الفص الذي فيه لا قيمة له فأسف

الصبي وتابع سيره إلي المنزل، وفي الطريق قابله والد صديقه فأراه التلميذ الخاتم، فعرض عليه والد صديقه أن يبيعه إياه بمبلغ كبير من المال معتقداً أنه من الذهب، وأن فصه ثمين.

فلنفرض أن الصبي أخبره بما قال الصائغ فما الفضيلة التي أتاه حينئذ.

طالب : فضيلة الصدق.

المدرس : أصبت كبد الحقيقة، وسأتحدث إليكم اليوم ببعض المعلومات عن الصدق من خلال هذه العناصر:

١- التعريف (شرح)　　٢- طرق ضبط الكذب

٣- أنواع الكذب.　　٤- دواعي الكذب.

٥- عاقبة الكذب.　　٦- الكذب فن.

ثم يأخذ المدرس في تناول هذه العناصر من خلال حواره مع تلاميذه حتي أن الصدق لا يرجع إلي ضبط الألفاظ في ظاهرها بل هو ما يوزن بميزان الصحة والخطأ أو ميزان الحق والباطل من ناحية التأثير الذي يقع علي قلب المخاطبة وعقله، إذن فالصدق هو ما يوجد التأثير الحقيقي في عقل السامع.

إن طرق الكذب ثلاثاً :

اللسان، الإشارة، السكوت.

ثم يأخذ في بيان الأسباب التي تلجئ الشخص إلي الكذب وهي:

الجبن وحب الافتخار والمجاملة والتظرف ثم يأخذ في علاج الكذب وهو أن يكون الإنسان بعيد النظر متدبراً في العواقب لا يفضل السرور العاجل علي تجنب...الخيبة الدائمة.

وأن من ثمار الكذب ونتائجه ضياع الثقة بالكاذب وعدم الاعتماد عليه وأيضا الأمانة وانتشار الثقة وهما نتيجة الكذب الذي قد اغتصب حريتنا ومن نتائجه :

أن الكاذب سيظل طيلة حياته نهب الحيرة والقلق لا يهدأ له بال، ولا يستقر له حال وسيمكث فريسة للزلزلة والاضطراب.

وأخـــيراً :

اخذ المدرس في عقد مقارنة بين الكذب والصدق، فيقول:

عرفنا أن الكذب والخداع لا أساس له فهو ضعيف مزلزل عرضة للسقوط والانهيار في كـل لحظـة، كما عرفنا أن بناء الصدق والحقيقة ثابت راسخ الأساس، وهو يعطي الحياة البهجة الدائمـة وفـوق ذلك، فإن حياة الكذب والخداع حياة مخجلة.

ولكن حياة الصدق شريفة مجيدة ساطعة الدوام فمن واجبنا أن نفضل الموت مـع الصـدق ومن أجله علي الحياة مع الكذب والخداع، فإن منفعة الكذب تافهة جـداً بجـوار راحـة النفـس مـع الصدق[1].

وتبدو الحركة في هذه المسرحية عادية فاترة فلم يزدد الشرباصي فيها شيئا سوي تحذيره مـن جريمة الكذب وتوضيحه لفضيلة الصدق وهذه المسرحية نصلح للمسرح المدرسـي. والمسـرح غـدا إحدي الدعامات التربوية الحديثة التى تهدف إلي ترسيخ القيم الإسلامية الأصلية واكتسـاب الثقـة بالنفس والتحلي بالأخلاق الحميدة.

---

(1) مسرحيات إسلامية ص ١٤٠.

الفصل الثاني

البناء المسرحي عند الشرباصي

لا شك أن المسرحية كالقصيدة الشعرية، نوع من الأدب صعب ودقيق وذلك لكثرة القيود التي تعترض طريق الكاتب المسرحي.

يقول توفيق الحكيم :

لأن المعترض له يجد نفسه أمام طائفة من القيود، قيود صارمة بل عوائق قاسية، تجعل نصيبه من حرية العمل قليلاً، فهو ليس حراً في اختيار الموضوع، ليس حراً في طريقة المعالجة، ليس حراً في الخبر الذي يصيب فيه فنه، ولا في الوقت الذي يعرض فيه عمله[1]...لقد أغطي الأديب الشرباصي الداعية للمسرح الإسلامي من مواهبه وهوايته الكثير، حيث كان الشرباصي يتمتع بطاقة إبداعية في ميدان الفكر، والأدب بعامة وفي الأدب المسرحي بخاصة.

وممن أشادوا بذلك من المشتغلين بقضايا الفكر والأدب في أدبنا المعاصر : الأستاذ وديع فلسطين إذ يقول: أما في باب التأليف المسرحي، فإن الضاد مدينة لرواد هذا الفن مثل: (محمود تيمور، وأحمد زكي، وعادل الغضبان، وعلي احمد باكثير، وبشير فارس، وسيد تقي الدين، وأحمد الشرباصي، وفتحي رضوان)، فقد كانت لهؤلاء جولات بارعة في الأدب المسرحي، ولو لاهم لما كان للمسرح مكان في الأدب العربي[2].

وإذا كان المسرح في آداب الدنيا جميعاً بناء شامخا عالي الذري محمولا علي أعناق العباقرة من الأدباء المميزين، فما بالنا إذ كان هذا الأدب المسرحي يجسد العقيدة الإسلامية وقيمتها ومبادئها النبيلة، كما هو الحال فى كتابات أديبنا الإسلامي الشرباصي للمسرحية.

والواقع أن الأديب الشرباصي لم يكن مسلما فحسب، بل كان غيوراً علي الإسلام حريصاً علي إظهار عظمته، وتجلية قيمه، حين يتحدث عن بسالة المسلمين وبطولاتهم الفذة في

---

(1) فن الأدب ص ١٤٢، توفيق الحكيم مكتبة الآداب بالجماميز القاهرة.

(2) قضايا الفكر في الأدب المعاصر ص ٩٦.

أيامهم وحروبهم، ويشرح الأسباب التي مكنتهم من النصر والفتح، مع قلة العدد وضالة العتاد، وللشرباصي رأي سديد في يسر الإسلام وسماحته، فهو دين الفطرة، وما جاء علي حكم الفطرة لا عسر فيه ولا مشقة.

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ...﴾[1]

ومن روافد الفن المسرحي الذين عاصروا الشرباصي، ولم ينكروا فضله له وأشادوا بمقدرته الأدبية وعبقريته الفذة في التأليف المسرحي الأديب أحمد شوقي، إذ يقول :

"من أوائل الخمسينات سار علي الدرب بتفوق واقتدار الفنان (فؤاد الطوخي) والعالم الإسلامي (أحمد الشرباصي) وقدما إنتاجاً وافرا من المسرحيات الإسلامية الكبيرة التي تعد علامات واضحة في هذا المجال[2].

وكان الأديب الشرباصي في كتاباته مخلصا في القول صادقاً في الرسم دون مواربة أو مجاملة، لأن الحقيقة وحدها خير سبيل لحل مشكلاتنا الكثيرة المعقدة والمسرحية كيان مبني: "أمنى قائم بعضه فوق بعض ومرتبط جزؤه بكله في منطق ونظام، ولم يكن البناء الفني له أصوله التي يدرس علي أساسها، ويدور الحديث في هذا الفصل حول عناصر البناء الفني للمسرحية عند الشرباصي والمتمثلة في:

١- الموضوع ٢-الإطار.

٣- الأسلوب ٤- الشخصية

٥- الحوار.

---

(١) جزء من الآية: ٧٨ سورة الحج.

(٢) المسرح الإسلامي روافده ومناهجه ص ١٤٩.

أولاً : الموضـــوع

من العوائق القاسية التي تواجه الكاتب المسرحي اختيار الموضوع، لأنه ليس كل موضوع يصلح للتأليف المسرحي، كما أنه ليس كل موضوع يصلح للنظم الشعري لذلك اعتبر بعض النقاد أن التوفيق إلي الموضوع الجيد، من الشاعر والمؤلف المسرحي اكتساب لنصف الموقعة[1].

لا جرم أن ثقافية مدعومة بحقائق التاريخ الإسلامي وشواهده، من ثم لم يكن أديبنا الشرباصي من أولئك الكتاب الذين كتبوا المسرحية ووقعوا في أسر التغريب، أومن أولئك الذين استباحوا لأنفسهم الحق في تحرير معالم التاريخ أو تغير الوقائع لتحقيق غاية يهدف إليها المسرحي في سبيل استعمال التاريخ لخدمة هدفه سواء أكان ماركسيا أم رأسمالياً أم وجودياً، ولذلك نراه يستمد موضوعات مسرحيات من عقيدة التوحيد الخالصة وكنوز الحضارة الإسلامية وإرثها الإلهي المنزة عن الخطأ والهوي في محاولة حسن الجمع بين الدين والفن.

وهذا ما أكده الشرباصي في مقدمة مسرحية (بطولة) إذ يقول:

جماعة الشبان المسلمين للتمثيل والموسيقي تحي النواحي التاريخية المجيدة في الإسلام في محاولة حسن الجمع بين الدين والفن والدعوة إلي الدين الملجد بوسيلة الفن الصاعد وتزكية الفن السليم بنفحات الدين الكريم إيماناً بأنه إذا تدين رجل الفن وتفنن رجل الدين ألتقيا في منتصف الطريق لخدمة العقيدة الصحيحة وألفهم السليم[2].

ومن هنا كان النجاح الذي حققه مسرح جمعيات الشبان المسلمين للتمثيل حافزاً للأديب الشرباصي إلي الكتابة للمسرح الإسلامي، المستلهمة من التراث العربي والتاريخ الإسلامي، هذا التراث الجيد يخاطب وجدان الشباب وعقولهم ويجسد أمالهم نبلا وعظمة ووفاء ومروءة وإيثارا في إطار فني له جاذبية إنسانية أخاذة وتأثير قوي عميق.

---

(1) بتصرف ص ١٤٣، فن الأدب توفيق الحكيم.

(2) مقدمة مسرحية بطولة ، لأحمد الشرباصي.

لذا فالتاريخ الإسلامي يزخر بالأمثلة النبيلة من القصص والمواقف والأحداث الرائعة التي كانت تطبيقاً للقيم الرفيعة التي حملها الدين الجديد الذي أخرج الناس به من الظلمات إلي النور وهو منهل عذب ثر لا ينضب، يستطيع الأديب المسلم أن يستلهم منه كثيراً من المسرحيات التي تعالج المشكلات السلوكية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية ووضع القدوات والأنماط السلوكية التي نأمل غرسها في وجدان الجيل الجديد.

ولقد اعتبر الشرباصي التراث الجيد أساساً وقاعدة راسخة للانطلاق نحو مسرحيات الجادة وممارسة التأليف المسرحي النابع من التراث العربي والإسلامي عن عقيدة ومحبة واقتدار، وأن توافر هذا اللون من مسرحيات الإسلامية سيحجبك كثير من المسرحيات التي لا تحقق الأهداف القومية والتربوية والأخلاقية وتسعي إلي تحطيم القيم والمبادئ الإسلامية.

وكان الأديب الشرباصي وهو ينهل من هذا التراث عينه علي الحاضر وعقله وفكره يتشوف بهما آفاق مستقبل أمته، لذا وضع أمام الجيل الجديد هذا التراث العريق بكل ما فيه من حلاوة الحوار وسرعة القصة ونبل الهدف وبكل ما يحتوي من القيم الشامخة للقدوات العملاقة في وقت يفتقد فيه الشباب القدوة ويقف حائر في صحاري التيه يتلمس الشعاع الذي يهدف إلي سواء السبيل.

وهذا التراث الجيد يخاطب وجدان الشباب وعقولهم، ويغرس في نفوسهم الشجاعة والإخلاص والاستقامة وهذا ما أكده الشرباصي بقوله فى كتابه الفداء في الإسلام إننا اليوم أمة لا بد لها من اليقين بأن حاضرها يجب أن يكون امتداد لماضيها في قيمتها ومقوماتها ومثلها، وأن غدها يجب أن يكون وليدا لحاضرها، فنحن الأن نتعرض لمرحلة من مراحل نضالنا وكفاحنا ضد أعدائنا الذين يتربصون بنا الدوائر عن يمين وشمال[1].

([1]) الفداء في الإسلام المقدمة ص٩، د/احمدالشرباصي، دار المعارف بمصر.

ولقد أثري كاتبنا الإسلامي الشرباصي المكتبة العربية بما قدم من نماذج وصور وتراجم حفلت بها كتب الأخبار والسير، وتاريخنا الإسلامي ملئ بأعظم المواقف البطولية والأخلاق والدروس والعبر كما في مسرحياته: (مشرق النور وفارس الشهباء وبطولة مؤمنة جاهدة...الخ).

وبتوجيهه شطر التاريخ الإسلامي يغترف من معينهما الصافي ويجلي صفحات هذا التاريخ وهاتيك ليضئ معالم الطريق أمام جيل الشباب الحاضر وإعطائه المثل الأعلي من الشباب الذين جاهدوا وضحوا في سبيله بكل غال ونفيس.

لقد تعددت ألوان الحصار المضروبة حول وجدان إنسان هذا العصر، فهو محاصر بالتطور العلمي الرهيب الذي أفقده عاطفته وإنسانيته وأخلاقه ومحاصر بإفلاس القيم واهتزازها، إلي معطيات الحضارة الرهيبة المدمرة كأن التمدن النفسي الذي اصاب إنسان هذا العصر إذن راجع إلي معطيات الحضارة الأوروبية وقيمتها ومبادئها في عصر الرجال الخوف والأرض الخراب، ومن نمط التمزيق نشأت أنماط اللامعقول، وهو صورة أمنية لما يعانيه الإنسان الحديث من الضياع واللهفة والجزاع.

الأرض الخراب، الرجال الخول، قصيدتي إليوت[1]، اللتين صور فيها إفلاس الحضارة المادية في تلبية أشواق الإنسان الروحية وظمئه إلي عالم الحقيقة الخالدة، إن العالم الإلهي هو وحده الذي يستطيع أن ينتصر علي العزلة وأن يجعل الإنسان مدركا للشعور بالألفة والصلة[2].

وحرص الأديب الشرباصي علي ربط حاضر الأمة بماضيها كان أقوي البواعث التي دفعته إلي الغوص في أعماق التاريخ الإسلامي واستخراج لآلئه، وإيمانه الصادق والقوي بأن ما تحقق للأمة الإسلامية في ماضيها من الوحدة بعد الفرقة، ومن القوة بعد الضعف، ومن العلم بعد الجهل فإن ذلك كله كان نتيجة طبيعية لمنهج الإسلام التربوي في تقويم النفوس والقلوب، وهدايتها إلي الجادة.

---

(1) البيوت: ت.س: إليوت وأديب أمريكي ولد عام ١٨٨٨م.

(2) العودة إلي المنابع ص٣٢، عن مقال د/ سعد دعبيس.

ويقول الدكتور بيصار في تقديمه لكتاب أبطال عقيدة وجهاد من تأليف الأديب الشرباصي: "...وكان الرعيل الأول تربي في مدرسة النبوة، مدرسة النور والهدي طلائع ونماذج كانت التجسيد الحي لقول الحق تبارك قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾[1]

أجل: خير أمة أخرجت للناس، تتمثل الخيرية بكل أبعادها في ذلك الخلق الطاهر، والسلوك المرضي الذين أثمرتها العقيدة الإسلامية فأثرت البطولة في أجل معانيها وأبهج صورها...

وإذا كنا في حاضرنا المرجي إلي مستقبلنا المأمول نحتاج إلي دفعات قوية مباركة نحو أهدفنا الشريفة في معركتنا المظفرة بإذن الله، فإن لنا في بطولة مدرسة النبوة مددا معطاء لا ينضب[2].

وهذا ما أكده الشرباصي وعبر عنه في صدق وإخلاص في جميع ما سطرته أنا ملة من كتابات أدبية وفكرية هادفة فيقول:

(...لا شك أننا أمة أراد لها قدر الاختيار والابتلاء، أن تصيبها طعنات خلقت من ورائها جراحات ولن تلتم هذه الجراح ويستعيد جسم هذه الأمة حصانته ومناعته، إلا إذا تقذف هذا الجسم بزاد أصيل نبيل من قيم الخير، وأمثلة البطولة، ونماذج الجهاد ومواقف الفداء[3].

ويقول أنور الجندي:

"...فإن كل أنة انفصلت عن تاريخها تدخل مجال الشرود، لأنه ليس للأمم في وفرها عبر مراحل التاريخ إلا أن تحمل معها زاد، هو تراثها القومي، فإذا انفصلت عن هذا الزاد بقيت تلهث وراء زاد مستعار، وتبحث خلال ذلك عن ذاتها فلا تجدها[4].

---

(1) سورة: آل عمران - الأية: ١١٠

(2) أبطال عقيدة وجهاد ص ٣-٤، تقديم د/ محمد عبد الرحمن بيصار سلسلة البحوث الإسلامية السنة الرابعة العدد ٢٠٥٨ من شوال ١٣٩٢هـ، نوفمبر ١٩٧٢م.

(3) المصدر السابق ص ٩.

(4) العودة علي المنابع ص ١٥.

وهذا هو الواقع الأمة الإسلامية يُرادَ ويدبر لها بليل أن تنسلخ عن هويتها، فتصبح كطائر مقصوص الجناح يزحف علي الثري وهيهات أن يحلق فوق الذري.

ثانيا : الإطار :

اختار الشرباصي القالب المسرحي لصياغة أفكاره الإسلامية للمواءمة بين المسرح والدين وإيمانه الشديد بالارتباط الوثيق بين الدين و الفن.

يقول توفيق الحكيم، عن المسرح :" ...المسرح هو أقصر طرق الأدب للوصول إلي الجمهور ولكنها أكثر الطرق امتلاء بالعوائق والصخور[1]، والذي يرجع لتاريخ المسرح سيجده بدأ من الدين، إذ ولد علي باب المعبد في مصر واليونان القديمتين ، وفي العصور الوسطي المسيحية، وفي الهند والصين المسرح بذلك مرآه المجتمع بصوره بما عليه أهله من العادات وتقاليد، وبما يؤمنون به من عقائد وأديان، بل إن المسرح الإسلامي ظهر في فترة مبكرة يصور أحداث مقتل الحسين في كربلاء، وظهر المنشدون والحكاءون والقصاص في العصور الإسلامية الأولي يروون أحداث التاريخ الإسلامي وقصص الأنبياء والأبطال، ظهروا في المساجد والأسواق وفي المنتديات ، وفي قصور الحكام والأمراء والأغنياء يروون بالحوار المنثور والشعر المنظوم، ثم تطورت الدراما الإسلامية ومنها أخذ المسرح الأسباني والإيطالي والألماني والإنجليزي كثيراً من قصصه وحكاياته، ثم تطور الأمر إلي اليوم لنجد المسرح الإسلامي يأخذ وضعه الفني ومكانته الصحيحة بين الفنون[2].

يقول الدكتور الفنجري عن الإسلام والتمثيل:

ومن هنا يأتي واجب دعاة الإسلام وكل مسلم غيور علي هذا الدين في الاستفادة من هذه الوسائل الإعلامية الحديثة استفاده جادة لخدمة ديننا ودعوتنا، فحتي اليوم للأسف الشديد مازال دعاة

---

(1)العودة علي المنابع ص ١٥.

(2) العرب والمسرح ص (٧٤-٧٥) محمد كمال الدين كاتب الهلال العدد ٢٩٣، ربيع الأخر سنة ١٣٩٥هـ،١٩٧٥م.

الإسلام يحجمون عن ذلك مكتفين بنقل الخطب والمواعظ في الإذاعة والتلفزيون، ونحن لا ننكر دور الخطبة والموعظة وأهميتها ولكننا لا نستطيع أيضا أن ننكر أن التمثيلية والفيلم القوي يكون دائما اقدر علي شد الناس إليه[1].

والمسرحية ما هي إلا قصة حية تعتمد علي تجسيد الحوادث والشخصيات وتهدف إلى تعميق الهدف الذي يرمي إليه المؤلف ويضمنه الحوار الموضوع علي أسس فنية يخاطب وجدان المشاهد ويثير اهتمامه وانتباهه[2].

ولعل شدة الارتباط بين المسرح والمجتمع كانت أيضا من وراء اختيار الأديب الشرباصي المسرح إطاراً الصياغة أفكاره، لأن هناك من يري أن :"...المسرح فن اجتماعي بجوهره، ولذلك لا يمكن لأحد أو يتهمنا بالمبالغة فهي أسهمنا في دراسة ما للجمهور من أهمية في تاريخ المسرح[3].

وهذا الارتباط أكده كثير من البلحثين والدارسين لفن المسرح يقول الدكتور عز الدين إسماعيل: "...وليست المعتقدات وحدها هي نتيجة ذلك السعي فإنه حين ترقي هوية الجماعة في الفهم والتفكير تظهر فى المجتمع عادات وتتاكيد ومحرمات وقوانين خلقية[4].

يقول رشدي صالح :

أن المسرح هو الفن الذي يؤكد أكثر من غيره في البلاد العربية أهميته ..."[5].

والحق إن الكتابة المسرحية تحتاج إلي نضوج فني خالص يتحقق عادة في مرحلة مزاولة الكتبة القصصية[6].

---

(1) سلسلة المسرح الإسلامي ، السابقون إلي الإسلامي ص ٦، د/ احمد شوقي الفنجري دار القلم سنة ١٣٩٧هـ، ١٩٧م.

(2)المسرح الإسلامي ص٤٢٠-٤٢١.

(3) المسرح الديني في العصور الوسطي ص١٣.

(4) الادب وفنونه ص ٢٣٨، دار الفكر العربي الطبعة السابعة ١٩٧٨م.

(5)الأدب وفنونه ص ٢٣٨، دار الفكر العربي الطبعة السابعة ١٩٧٨م.

(6) الأدب وفنونه ص ٢٥١.

ويقول توفيق الحكيم :

إن المسرحية وإن كانت بناء الأصم، إنها بناء حي لأنها مكونة من شخصيات حية تتكلم إن البناء المسرحي لا يمكن أن يكون بالضبط كالبناء المعماري فالمهندس إذا رسم مسماراً علي الخريطة، فلا شيء يغيره أما المؤلف فإنه لا يضمن بقاء جزئية علي حالها لو اندفعت شخصيته في اتجاه آخر[1].

والأديب الشرباصي من الأدباء الكبار الذين استهوتهم كتابة المسرح بالرغم أنه كان من أعلام الأزهر الأجلاء، ومع ذلك نراه يبرز في كتابة المسرحية الإسلامية فيجرد قلمه لتتبع الآثار والمواقف التي جذبت انتباهه في التاريخ الإسلامي ليصل الماضي بالحاضر، وكان الأديب الشرباصي يرتاد مجالس الكبار فيجد مكانته من التقرير والإعجاب بعيد الصوت ذائع الشهرة.

ولو تفرغ الشرباصي للمسرح، لكان له دور كبير فيه، غير أن العمل الوظيفي والتطوعي يشغل وقت وطاقة الأديب الموهوب وأمجد ما في الأديب الشرباصي أنه وثب بالمسرحية الإسلامية من خلال ما كتب من مسرحيات وثبة لائغة أن نفتح عيوننا لي مسرحيات الشرباصي لنقرأها ويقدم من مشاهد.

لذا يعد الشرباصي في المسرح الإسلامي من الدعاة الذين يوظفون أدبهم لخدمة القيم الإسلامية الروحية والعقلية والاجتماعية والإنسانية فاستعار الشكل ووظفه في خدمة فكرته الإسلامية.

ثالثا : الأسلوب :

وكلمة الأسلوب في اللغة العربية: مجاز مأخوذ من معني الطريق الممتد أو السطر من النخيل،وكل طريق ممتد أسلوب والأسلوب: الطريق والوجه والمذهب ويجمع علي أساليب، والأسلوب: الفن يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه[2].

---

(1) فن الأدب ص ١٥٧-١٥٨.

(2) لسان العرب لابن منظور مادة سلب القاهرة دار المعارف.

ويقول الزمخشري :

سلكت أسلوب فلان: أي طريقته وكلامه علي أساليب حسنة[1].

ومن معاني الأسلوب: إطلاقه علي طريقة المؤلف في تنسيق أفكاره، فالأسلوب بهذا المعني هو الترتيب والانسجام[2].

ويقول الدكتور مندور عن الأسلوب :

فليس المقصود بذلك الأداء الغوي فحسب، بل المقصود منحي الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس علي السواء، بحيث إذا قلنا إن لكل كاتب أسلوبه يكون معني الأسلوب كل هذه العناصر التي ذكرناه فالقصاص والمؤلف المسرحي والشاعر لكل منهم أسلوب خاص، كما أن لكل كاتب أسلوبه الذي يتميز به غيره من الكتاب، ولو اتخذت الكتابة من حيث الموضوع، فيدخل في معني الأسلوب مثلا أن هذا الكاتب أو ذا مثالي واقعي، كما يدخل فيه أنه مترسل أو متكلف في طريقة الأداء اللغوي[3].

ويقول ابن خلدون عن الأسلوب :

إنه المنوال الذي ينسخ فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه[4].

يقول الكونت دي بوفون عن الأسلوب :

أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه[5]، وتعريف (بوفون) للأسلوب تدخل في إطار نفسية الفرد.

---

(1) أسس البلاغة للزمخشري ص ٤٥٢ كتاب الشعب ١٩٦٠م.

(2) مبادئ فن نظرية الشعر والجمال ج١ ص ٣٦٤، بن عقيل الظاهرة الطبعة الأولي سنة ١٤١٨م، مطبوعات النادي الأدبي بمائل.

(3) فن الأدب والنقد ص ٦، د/محمد مندور القاهرة ، مطبعة التأليف والترجمة سنة ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م.

(4) المقدمة ص ٤٧٣، لابن خلدون مطبعة التقدم.

(5) دفاع عن البلاغة ص ٧٠ احمد حسن الزيات الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

وهذا ما أكده المرحومان: علي الجارم ومصطفي أمين، في كتابهما البلاغة الواضحة عند حديثهما عن الأسلوب:"...بأنه هو المعني المصوغ في ألفاظ مؤلفة علي صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعل في نفوس سامعيه[1].

ومن خلال المشاهد التي وقفنا عندها وتقدم ذكرها من مسرحيات الشرباصي الإسلامية نجد أنه يمتلك ناصية التعبير، فجاءت أفكاره في ثوب من العبارات الوقورة المحكمة السبك التي لا تستلم لطوفان الخيال وتراكم المجازات والتركيبات البلاغية منظمة تنظيماً حسنا ومعروضة في أسلوب جذاب حسن الصياغة جيد السبك جار علي قواعد النحو والصرف.

فالأساس في النثر أن يكون حرفياً لا مجازيا، أما استخدام التشبيهات والاستعارات بكثرة في الأسلوب النثري بالحرية نفسها التي استخدمها بها في الشعر، فإنه يغر عن أسلوب الشعر المنثور والذي لا يطاق[2].

ومن هنا فقد جرد الشرباصي قلة التتبع لآثار والمواقف التي جذبت اهتمامه من خلال قراءته الواسعة في كتب السير والأخبار والأدب فعمد إلي تلك النماذج الحية يحلل ويدرس ببصيرية الحاسن فيشير بها، ويتلمس الأخطاء فينبه إليها بمقاييس الناقد الحصيف، والكاتب النابه والمتتبع اللبق، فكان دقيقاً في أسلوبه يختار كل كلمة وكل حرف فجاءت كتاباته غاية في روعة البناء وصحة الأداء، وهذا مما يدل علي اهتمامه بلغته العربية وتمكنه من الإطلاع علي تراث أمته.

ومن ثم فقد أفاءت عليه ثقافته العربية الإسلامية الأصيلة وتمكنه من كنوز الأدب العربي ثروة فاخرة من جيد التعبير ورصين القول.

ومن ثم فقد أفاءت عليه ثقافته العربية الإسلامية الأصيلة وتمكنه من كنوز الأدب العربي ثروة فاخرة من جيد التعبير ورصين القول.

---

(1) البلاغة الواضحة ص .

(2) عيوب التأليف المسرحي ص٣٣٣.

إن الأديب لا يمكنه الوصول إلي قمة الأديب إلا علي سلم من اللغة متين[1]، وكان الأديب الشرباصي صاحب ذوق في إنتقاء ألفاظه وعباراته فكان لا يختار إلا وفق ما يتجه إلهامه، وبالرغم من الجدل الذي ثار حول أسلوب المسرحية لم يثنه ذلك عن عزمه ولم يفت في عضده من العدول عن أسلوب لغة القرآن الكريم.

أن أنسب لغة للمسرح هي اللغة العربية المبسطة التي تفهم، فكل البلاد العربية[2]، ولما كان الأديب الشرباصي يهدف من وراء كتاباته بعامة والمسرحية منها بخاصة مخاطبة وجدان المتلقي وعقله، وتجسيد القدوة الصالحة للبطولة يكون ذلك عن طريق اللغة العربية الفصيحة، وهي من أهم مقومات التأليف والترابط بين أبناء الإسلام.

إن من أهم هذه المقومات اللغة، وهى أساس ينعقد اجماع المفكرين عليه ولا منازعة في ثبوته كأصل من أصول القومية العربية... واللسان المشترك عظيم الأهمية بالنسبة لفكرة القومية[3].

وإذا أضفنا إلى ذلك أمانة الشرباصي لرسالة الأدب التي حتمت عليه الإخلاص بقلمه والإخلاص لمن يكتب لهم، مما أكد على قيام الصلة بينه وبينهم، فنال ثقة قرائه لأمانته وصدقه وامتلأت نفسه ثقة بقدرة قرائه على الفهم وحسن الاستعداد.

فإذا كانت صلة القارئ أو المشاهد بالكاتب تتمثل فى المقولة أو الأسلوب-كما قلنا- وضحت أهمية اللغة فيما تكشف من السمات الفنية للعمل المسرحي، فى أخص خصائصه

---

(1) شمعة علي الدرب ص ٣٨، للدكتور/ عارف قياسة ، مطبوعات نادي جدة الادبي الطبعة الأولي ١٤٠١هـ.

(2) المسرح الإسلامي ص ٣٩٥.

(3) قيم ومعايير ص ٢٠٠ للعوضي الوكيل الدار المصرية.

الفنية، فالكلمات هي محور رسائل الفن المسرحي، بوصفه عملاً أدبياً، متى انتظمت فى جمل وعبارات مسرحية[1].

ولأهمية اللغة ومكانتها فى المسرحية، فقد عنى به الشرباصي فى مسرحياته، وأهمية اللغة فى المسرحية لا تقل عن الحدث نفسه فى تجسيم المواقف، ولا تقتصر أهميتها على مجرد الوساطة اللغوية في تراسل الخمسينات، فاللغة هي المظهر المادي لكل مقومات المسرحية ولها تتحقق الصلة بين المسرح والجمهور، فهي تكسب الشخصية أبعادها، وتجسم الفكرة وتنقل الصورة الحيوية مستوية.

يقول غنيمي هلال :

أن الكاتب يستغل طاقات اللغة التعبيرية في الحوار في النثر فللجمل فيه حدودها وإيقاعها وفي حق أن كل المسرحيات لدي الكبار في لغتها طابع شعري فيه عمق وتصوير حسي درامي، وانتقاء بالغ الدقة للعبادات، بحيث تشف عن معني العميق للواقع المألوف[2]، ومن مظاهر عناية الشرباصي باللغة في مسرحياته، اختياره للألفاظ التي تميزت بالصفاء والاسترسال والجريان الذي لا ينقطع ونصاعة البيان مما كان له أبعد الأثر علي أسلوبه المسرحي الذي يتسم بالوضوح كالشمس وبالصفاء كالماء، فإذا هو سهل في متناول كل قارئ ومشاهد.

ولأن للألفاظ دوراً أخطر وأدهي من الصور، فهي أقدر علي التعبير والتعبير بالصور فإذا ترابطت الألفاظ مبدعاً أن تنفذ إلي القلوب.

وتكاد لغة المسرحية عند الشرباصي تخلو من العبارة الغنائية فلم تهبط عباراته إلي وصف المشاعر الذاتية للشخصية، فتفقدها القوة الحركية وتفقد الجمل تأثيرها العربي، أي وظيفتها الدرامية.

---

(1) النقد الأدبي الحديث ص ٦١٢ د. محمد غنيمي هلال دار العودة بيروت.

(2) المرجع السابق ص ٦١٦ وما بعدها.

ولغة المسرحية عند الشرباصي تنمي عند القراء والنظار الذوق والأفكار، مما يؤكد ذلك قوله في مسرحية (مشرق النور).

لقد فجع شيخ مكة بأعز أبنائه وأحب أولاده إلى قلبه إليه فجع بعبد الله الذي كان زين الشباب ومطمع الكواعب الغيد من نساء قريش، والذي كان موفور القوة بادي النشاط بارع الجمال[1].

وقوله أيضا في المسرحية نفسها: "...ليكن قصدك ما تشاء، فما تريده قوة السماء لا تدفعه أيدي الضعفاء، وإني علي يقين من رأس الأرض ستشهد عما قليل عهداً جديداً، يذل فيه طغاة ويعزبه تقاة[2].

وقوله في مسرحية (أبي حازم، سلمة بن دينار الصوفي) في جواب عن سؤال لمسلمة بن عبد الملك ما النجاة يا أبا حازم قائلاً: "...اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم أنظر ما يجب أن يكون لك تلك الساعة فخذ فيه، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه من الآن، ومتي أحسنت الاستعداد للموت، فقد أمنت القدوم علي الآخرة[3].

وفي مسرحية قصة مؤمنة جاهدت التي حلفت بالصور المعبرة والبيان الناصع كما في هذا المشهد الذي يحكي قصة الفتاة المؤمنة التي جزت وصديقتاها شعورهن وقدموها ضفائر لإمام المسجد ألقي هذه الضفائر فوق الجموع، وهو غاضب ثائر كأنها حراب مؤلمة تشك جنوب الحاضرين، وتحي فيهم الرجولة الراكدة، وتذكرهم بأنهم رجال بلحي وشوارب، وليسوا نساء بضفائر وذوائب فكيف قعدوا مع الخوالف، وتقاعسوا عن الجهاد، أو كأنها سيوف بتارة تقطع

---

(1) مسرحيات إسلامية ص ٢١.

(2) المصدر السابق ص ٣١.

(3) المصدر السابق ص ٥١.

رقاب الخائبين، وتوقد الشجاعة في صدور المتقهقرين، فإما أن يتقدموا أو يكونوا نساء فخرجنا فزعين مكبرين، وسارعنا إلي المعركة مجاهدين فأعزوا الله بناء كلمة الدين، وكتب لنا النصر المبين[1].

وفي مسرحية (الحجاج وسعيد بن جبير) ما جاء علي لسان الحجاج مهدداً وسعيد بن جبير بقوله :" والله لأذيقنك كأس الموت مريرة، ولأوردنك حياض المنايا مترعة، لك الويل يا شقي[2].

وفي مسرحية مروءة (جاء علي لسان ابنه معاوية)، إن التزويج هزله جد، وجده ندم والندم عليه يدوم، والعاثر فيه لا يكاد يقوم، وإني لفي بحبوحة من النعمة، أتدلل في بيت أبي، فآمر وأنهي، والكل حولي سميع مطيع فما أترك هذه السعة إلي ذلك الضيق[3].

رابعاً : الشخصية:

من الينابيع التي تلهم الكاتب المسرحي وتمده بفكرة المسرحية أو تحفزه علي الكتابة، (الشخصية) فقد تلح علي الكاتب فكرة شخصية، أو عدة شخصيات وتتطلب أن يصنعها في مسرحية وعلي المؤلف قبل أن يبدأ في كتابة أن يفحص عن هذه الشخصيات ليري هل هم من الناحية النفسية يستحقون الدراسة ، ومن الناحية المسرحية سيكون لهم تأثير[4].

إن الشخصية في العمل المسرحي دعامة، والكاتب المسرحي الذي يرجو لعمله الخلود يلتفت التفاتا واضحاً إلي ضرورة رسم شخصياته بثورة تجذب انتباهنا علي الدوام[5].

وحلفت مسرحيات الشرباصي الإسلامية بالشخصية المحورية التي تحرك الحدث وتتطور به، وتدفع باقي الشخصيات إلي حركة دائبة من خلال الصراع الذي يشتغل في المسرحية.

---

(1) المصدر السابق ص ٨٠.

(2) المصدر السابق ص ٨٩.

(3) المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها ص ٣٤٥ عمر الدسوقي، دار الفكر العربي.

(4) المصدر السابق ص ٨٠.

(5) المسرح العربي يفي القرن التاسع عشر، ص ٢٤٥، د/ أحمد سمير مكتبة سعيد رأفت، لقاصرة.

إن الشخصية ينبغي أن تنمو في عمل المسرحي من خلال مواقف وإحداث تؤذن بنمو لها من وضع هي فيه لتتكيف مع وضع آخر، يكون هنا التحول مقنعاً، وذلك عن طريق المواقف والأحداث لا أن يقتصر هذا التحول في الشخصية علي ما يرد في الحوار من كلام[1].

وتملي الأحداث، في كثير من الأحيان علي شخصيات، ولا تتحكم في هذه المسرحيات مستوحاة من التاريخ الإسلامي، والشرباصي، قراها في مكانها، وعلي كل شخصية أن تؤدي دورها الذي فرضه التاريخ عليها.

وتميزت المسرحيات التي تتولد من الشخصية الإسلامي بالحيوية والقوة لقيامها علي الشخصية، فيها حياة وقوة أكثر من مسرحيات المواقف والظروف، والمسرحية التي تخصص لدراسة شخصية أو تدور حولها أصعب في المعالجة من المسرحية الموقف والظروف، والمسرحية التي تخصص لدراسة شخصية أو تدور حولها أصعب في المعالجة من المسرحية التي تدور حول عدة شخصيات يتوزع بينها العمل، ولكن إذا كانت الشخصية الواحدة تملأ الفراغ المسرحي، فلا شك في أن مثل هذه المسرحية تكون فذة وفريدة بابها[2].

ولذا جاءت مسرحية (الحجاج وسعيد بن جبير) وغيرها من مسرحيات الشرباصي الإسلامية التي اعتمدت علي الشخصية مثيرة ومعبرة ومسرحية (الحجاج وسعيد بن جبير) تصور بطولة سعيد بن جبير، الشيخ الضعيف الذي وقف في وجه طغيان الحجاج الحاكم الأموي السافك للدماء، وقد كان في وسع سعيد بن جبير، أن يهرب ومن وجه الحجاج وينجو بحياته كما فعل غيره من معاصريه، ولكنه آثر الموت علي الحياة في سبيل أن يجهر بكراهيته لظلم الحجاج.

وقد تميز الشخصية في مسرح الشرباصي الإسلامي بميزات منها:

الابتعاد عن مظاهر العنف أو الإشارة إليها من قريب أو بعيد، لأن الكاتب الإسلامي يستشعر بأنه رجل دعوة وصاحب رسالة يؤديها عن طريق ما يكتب ملتزما بحدود الدعوة ومنهج

---

(1) آفاق من الأبداع والتلقي في الأدب عشر ص ١٠٥، د/ مصطفي الجويني، دار المعارف.

(2) المسرحية ص ٣٤٥.

الداعي كما حدده القرآن الكريم الحكمة والموعظة الحسنة ومن تلك ما جاء علي لسان أبـي حـازم عندما خرج يرمي الجمار فإذا بامرأة ساقرة قد فتنت الناس بحسن وجهها وألهمتهم بجمالها فقال لها:

"...يا هذه إنك بمشعر حرام، وقـد فتنـت النـاس، وشـغلتهم عـن مناسـكهم فـاتقي الله واستتري، فإن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز :(وليضربـن بخمرهـن علـي جيوبـهن ولا يبدين زينتهن...)فقالت له:

المرأة : يا أبا حازم، إني من اللائي قال فيهن الشاعر :

أمـــاطت كســـاء الخـــز عـــن حرّوجهـــها	
وأرخـــت علـــي المتنـــين بـــردا مهـــهلا	
مـــن اللائـــي لم يحججـــن يبغـــين حســـبة	
ولكـــن ليقتلـــن الـــبريء المغفـــلا	

فقال أبو حازم لأصحابه: تعالوا ندع الله لهذه الصورة الحسنة ألا يعذبها الله بالنار وجعل أبو حـازم يدعو وأصحابه يؤمنون علي الدعاء.

سلمان : عجباً: وكيف يكون ذلك؟...[1]

فأبو حازم الرجل الورع التقي لم يكن بالرجل الفظ الغليظ، وليس بالمتزمت المتشدد وأراد بدعائـه للمراة طلب الهداية، فتصرف عن اللهو إلي التقي فلاتمسها النار وهو بذلك بين الظرف والإرشاد.

وهذا الملمح لا يتعارض مع الحـض علـي الجـهاد في سـبيل الله وإثـارة الحميـة في نفـوس المجاهدين وإعداد القوة اللازمة لمقاومة أعداء الأمة والدفاع عنها، كما أمر القرآن الكريم والحديـث الشريف الإرشاد بدور المجاهدين أو مـا يجـب أن يكـون عليـه المجـاهدون في سـبيل الله مـن المـهارة القتالية والقوة المادية والمعنوية في حدود التعاليم والآداب الإسلامية.

---

(1) مسرحيات إسلامية ص ٤٤.

كما في قوله في مسرحية (مؤمنة جاهدت) الذي جاء علي لسان بعض الشخصيات :

عامر : لقد بدأت المعركة بين المسلمين والكافرين وهي الآن علي أشدها وقد أخذ العلماء والوعاظ يحثون الشباب علي الخروج إلي الجهاد في سبيل الله والوطن[1].

أميمه : إن اخوتك قد مضوا إلي أكرم غرض وأشرف غاية، إنهم رحلوا ليرفعوا لواء عقيدة عز بها الوجود، ويرضوا ربا هو رحمن الدنيا والآخرة وليدفعوا عنا عار السبي، ذل الأسر وقيد الهوان[2].

تجنب مواقف الإثارة بالقول وغيره وخلوها من مناظر التقبيل والعناق أو الحوار المشتمل علي غزل الصريح أو الإشارة الواضحة أو العبارات التي تتابع في وصف عاطفة الحب بين المرأة والرجل.

ومن بين هذه الملامح أيضا :

جريان الفكاهة الهادفة أو الطرفة النادرة الأدبية في الترويح عن نفس النظارة أ، لا يتخذ من أقدار الناس وأعرضهم محل مزاحة وتندره.

ومن ذلك ما جاء علي لسان (أبي حازم) في مجلس سليمان بن عبد الملك مخاطباً به الزهري المعروف بابن شهاب أحد علماء الحديث قوله.

إنك بعيد في العزاز فقم[3]، أي أنت في أطراف العلم ولم تتوسط بعد، فلا تخدعنك نفسك.

خامساً : الحوار :

أن الحوار ضرب من البيان الرائع المثير الذي استخدم في كثير من المواقف التي وردت في كتاب الله وحديث رسول الله- ﷺ-وأريد به التأثير والإثارة، ويعتبر الحوار من أهم عناصر

---

(1) مسرحيات إسلامية ص ٦٩.

(2) المصدر السابق ص ٧٣.

(3)الادب وفنونه ص ٢٣٩، د/ عزالدين اسماعيل.

التأليف المسرحي فهو الذي يجلوا الشخصيات ويفصح عن خباياها، وهو الذي يحمل عبء الصراع من بداية المسرحية إلي نهايتها[1].

ويقول عز الدين إسماعيل عن الحوار: سواء أكانت المسرحية ممثلة أم مقروءة فإن الحوار هو الأداء الوحيد للتصوير...الحوار هو المظهر الحسي للمسرحية[2].

ووظيفة الحوار كما يقول غنيمي هلال :

التأثير في الشخصيات بما يتصل والمواقف، وبما يبين عن الجوانب الباطنية الإيجابية من نفس صاحبه...[3]

وبالتأمل في الحوار الذي به مسرحيات الشرباصي نجده لا يقف عند حدود والحوار الذي صورة السؤال والجواب بين شخص وأخر، بل أن الحوار ينقل إلينا صورة الحياة، فيجعلنا نتمثل الأشخاص في زمانهم وصراعهم، كما نتمثل الأفكار وهذا مما يزيد في حيوية الحوار في الفن المسرحي.

ومما زاد أيضا في حيوية الحوار في المسرح الشرباصي مونه باللغة العربية الفصحي، ولأنه كان يضع نصب عينيه أهمية اللسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم، وأهمية اللسان العربي في تجميع شعوب أمتنا، والمحافظة علي عروبتنا فضلاً عن وفاء الفصحي بكل مستويات التعبير: تصوير خوالج النفسي الإنسانية، والإفصاح عن الملح والنوادر، إذا كانت اللغة هي الوعاء الذي يضم الشعب وعواطفه وأحاسيسه، فهي إذن شديد الارتباط بهذا الشعب ولا ينفصل عنه رقياً أو إنحطاطاً[4].

---

(1) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ص ٢٥٩، د/ عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي الطبعة الرابعة سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(2) الادب وفنونه ص ٢٣٩، د/ عز الدين إسماعيل.

(3) في النقد ومعايير ص ٢٠٠ الفوضي الوكيل الدار المصرية للتأليف والنشر.

(4) قيم ومعايير ص ٢٠٠ الفوضي الوكيل الدار المصرية للتأليف والنشر.

وهذا مما دعا إليه الكاتب الإسلامي علي أحمد باكثير، وكان من أشد المناصرين للفصحى فيقول (فلا يجوز لنا البوم ونحن نتطلع إلي محو الأمية عن شعبنا المصري العربية كلها من الخليج إلي المحيط[1].

كما كان للقرآن الكريم تأثيره المباشر في الحوار، وقد كان الأديب الشرباصي يستخدم التعبير القرآن بنصه في كلام كما جاء في مسرحية (أبي حازم علي لسان مسلمة: كذلك سمعت أنه قال بمسمع من أمير المؤمنين: حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّىَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾.

وفي المسرحية نفسها جاء علي لسان أبي حازم جواباً عن سؤال لسليمان بن عبد الملك وأين أجد تلك المعرفة في كتاب الله؟...فقال أبو حازم: عند قوله تعالي:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ﴾ وعندما سأله أيضا:

فأين رحمة الله يا ابن أبا حازم؟... فقال أبو حازم ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾.

وفي مسرحية (أبي حازم) جاء علي لسان مسلمة وصف خلقه: قوله تعالي ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾.

وفي مسرحية (مؤمنة جاهدت وجاء التعبير القرآني في الحوار ليدفع نضال الأشخاص من أجل مبادئها وأفكارها وقيمتها، وعلي وجه الخصوص هذه التعبيرات والمعاني التي سادت في هذه المسرحية ومنها قوله ﴿ إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم ﴾

---

(1) المسرحية من خلال تجاربي الشخصية ص ٧٤ علي أحمد باكثير.

وقوله تعالى ﴿ ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ .

وفيها قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾. آل عمران.

وفى مسرحية الحجاج وسعيد بن جبير:

الحجاج: وما يبكيك يا سعيد؟ هل أبكيتك خفة الطرب، أو روعة اللعب؟ سعيد: إنما أبكاني الحزن يا حجاج، أما النفخ فذكري يوما عظيما يوم النفخ فى الصور (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) الشعراء

الحجاج: سأقتلك أيها الخارج المارق الشاق الطاعة.

سعيد: ذلك أمر إلى الله لا إليك.

﴿وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾لقمان.

﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ الأعراف

الحجاج: أنا أحب إلى الله منك.

سعيد: ومن يدريك؟ ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ النجم.

الحجاج: اضربوا عنقه.

سعيد: إذن دعوني أصلى ركعتين.

﴿إن صلاتى ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ الأنعام.

وكما استخدم الشرباصي القرآن بنصه فى حواره، فقد اكتفى باستخدام ألفاظ يرتبط ذكرها بالقرآن الكريم على سبيل التضمين. كما فى قوله فى مسرحية "مسرحية النور":

عبد المطلب: رأيت كان شجرة عظيمة قد نبتت وطالت حتى نالت ذوابتها السماء وضربت أغصانها المشرق والمغرب ورأيت العرب والعجم لها ساجدين[1] لعل هذا يشير إلى عموم وعالمية وحالة الإسلام التي جاء خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

ورقة: إني لأشتم ريح عهد جديد، يقبل على الدنيا، فيغير من أمرها وأمر أهلها إلى خير صلاح[2].

ومما جاء فى مسرحية أبى حازم "على هذا النهج قول سليمان بن عبد الملك فى خطبته.

سليمان: يا عباد الله اتخذوا كتاب الله إماماً، وارضوا به حكماً، واجعلوه لكم قائداً، فإنه ناسخ لما قبله، ولن ينسخه كتاب بعده...[3]

وفى مسرحية "مؤمنة جاهدت"

حسام: سيصب ربك عليهم سوط عذاب عما قريب، فلا تكن من الآسفين[4].

وكما استخدم القرآن فى حواره فقد استخدم أيضا: الحديث النبوي فى حواره ومن ذلك قوله فى مسرحية. أبى حازم حدثني أبو موسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(إن أهون الخلق على الله عز وجل من ولى من أمور المسلمين شيئا فلم يعدل فيهم)[5].

ومنه أيضا ما جاء على لسان الزهري فى هذه المسرحية:

الزهري: إى والله فقد بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا أخير لك من حمر النعم) وبلغنا عنه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن مسعود

---

(1) مسرحيات إسلامية ص ١٧.

(2) المصدر السابق ص ٢٦.

(3) المصدر السابق ص ٤٠.

(4) المصدر السابق ص ٧٠.

(5) المصدر السابق ص ٤٣.

أنه قال (لا حسد إلا فى اثنتين رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل أتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها)[1].

وأيضا استخدم الشرباصي فى حواره الأمثال العربية ومعروف أن المثل بعيد عن المواجهة ويعتمد إلى تلخيص الموقف فى جملة أو جملتين أو بيت شعري.

ومن هذه الأمثال التى حفل بها الحوار فى مسرح الشرباصي قوله: على لسان ورقة بن نوفل: "...أنصفت لله درك، وهذا المثل مأخوذ من كلام العرب: لله دره فارساً عند التعجب من فروسيته.

وجاء على لسان أبى لهب فى مسرحية "مشرق النور" إن أولاد عبد المطلب أيها الرجل كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها[2].

وجاء على لسان رجاء بن حيوة: بورك فيك يا داود، إن هذا الشبل من ذاك الأسد... ومن شابه أباه فما ظلم[3].

ولئن كان الشرباصي قد استخدم التعبير القرآني وقبس من الحديث النبوي وضرب كثيراً من الأمثال العربية فلم يؤثر كل ذلك على حواره. ولكن استخدام الشرباصي للشعر واقتباسه كثيراً من الأبيات الشعرية كثيراً فى حواره يعرض من خلال ذلك لثقافته الشعرية، ومحفوظة الضخم من الشعر العربي من بين هذه الأشعار ما جرى على لسان ورقة بن نوفل: أمر عجيب يا بني هاشم.. لقد سمعنا هاتفاً من داخل الصنم يقول[4]:

تردي لمولود يضيء بنوره ... جميع فجاج الأرض بالشرق والغرب

وخرت له الأوثان طرا وأرعدت ... قلوب ملوك الأرض طرا من الرعب

---

(1) المصدر السابق ص ٥٢.

(2) المصدر السابق ص ٢٨.

(3) المصدر السابق ص ٤٠.

(4) المصدر السابق ص ١٥.

وصدت عن الكهان بالغيب حنها ... فلا مخبر منهم بحق ولا كذب
فيال قصى ارجعوا عن ضلالتكم ... وهبوا إلى الإسلام والمنزل الرحب

ومنها ما جاء على لسان زيد بن عمرو وعندما يرفع وجهه ويقول: اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به.. ولكنى لا أعلم.. وأنشد قائلا[1]:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخرا أثقالاً
دحاها فلما استوت شدها ... سواء وأرسي عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبا زلالا

ويقول أيضا[2]:

أربا واحدا أم ألف رب ... أدين إذا انقسمت الأمور؟
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ... ولا صنمي بني عمرو وأزور
ولكن أعبد الرحمن ربي ... ليغفر ذنبي الرب الغفور

وجرى على لسان ورقة بن نوفل قوله[3]:

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم ... أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدن إلها غير خالقكم ... فإن دعوكم فقولوا: بنينا جدد
سبحان ذى العرش سبحانه يدوم له ... وقبلنا سبح الجودي والجمد

إلى أن يقول:

لم تغن عن "هرمز" يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت "عاد" فما خلدوا
ولا "سليمان" إذ تجري الرياح به ... والأنس والجن فيما بينهما مدد

---

(1) المصدر السابق ص ١٦.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر السابق ص ٢٨.

وفى مسرحية أبى حازم على لسان جارية سليمان بن عبد الملك قولها[1]:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لابقاء للإنسان

أنت لا يريبنا منك شك ... علم الله غير أنك فان

أنت خلو من العيوب ومما ... يكره الناس غير أنك فان

ليس فيك علمته فيك عيب ... كان الخلق غير أنك فان

وجاء على لسان (أميمة) فى مسرحية (مؤمنة جاهدت) ليس الفقر فى الإيمان والعزائم، ورحم الله اختنا الأولى يوم أن قالت[2]:

لبيت تخفق الأرواح فيه ... أحب إلى من قصر منيف

ولبس عباءة وتقر عيني ... أحب إلى من لبس الشفوف

إلى أن تقول:

خشونة عيشي فى الفر أشهي ... إلى نفسي من العيش الظريف

فما أبغى سوء، وطنى بديلا ... فحسبي ذلك من وطن شريف

وغالبا كانت الأبيات التى تقتبس فى الحوار لحكمة يريد أن يبثها الشرباصي فى مسرحياته وجرياً على عادة بعض كتاب المسرح حين يعودون إلى الشعر العربى القديم، ويشيعونه فى مسرحياته.

---

(1) المصدر السابق ص ٣٨.

(2) المصدر السابق ص ٧٦.

خاتمة البحث

نعمت فى هذه الدراسة "الشرباصي والمسرح الإسلامي" بصحبة هذا العالم الجليل والأديب الكبير الأستاذ الدكتور أحمد الشربيني وشهرته أحمد الشرباصي رحمة الله عليه.

كما سعدت بالعيش فى العصر الذي عاش فيه وامتعني القدر بلقائه وشرف معرفته والتلمذة على يديه، فنهلت من معين أدبه الثر وفيض علمه الجم.

ويعد الشرباصي أحد الأصوات البارزة فى أدبنا المعاصر، من أبناء الأزهر القلائل الذين أوتوا حظاً موفوراً من العلوم التى تكبر النفوس وتوسع العقول، وسعة إطلاع على التاريخ المفصل، والقدرة العلمية فى المجالات الدينية والأدبية.

ويكفى الشرباصي فضلاً أنه نبه شباب الأمة العربية والإسلامية وفتح عيونهم على صور صادقة من صور الإيمان والتمسك بالعقيدة الصحيحة والتضحية والفداء فى سبيل الله.

وهذا ما أكده الشرباصي بقوله فى مقدمة كتابه "الفداء فى الإسلام" هذا الكتاب يأتي في أوانه وأرجو أن تتوثق صلته بمكانه وزمانه. إننا اليوم أمة لابد لها من اليقين بأن حاضرها يجب أن يكون امتدادا لماضيها فى قيمها ومقوماتها ومثلها، وأن غدها يجب أن يكون وليداً لحاضرها، ونحن الآن نتعرض لمرحلة حاسمة من مراحل نضالها وكفاحنا ضد أعدائنا الذين يتربصون بنا الدوائر عن يمين وشمال[1].

وهذا البحث يكشف عن دور الأزهر وجهود رجاله فى الحياة الثقافية والإعلامية عامة والمسرحية خاصة، من خلال ما قدمه الشرباصي من مسرحيات إسلامية ودراسات دينية وأدبية استشراقا وتطلعا للدور الذى تعلقه الأوساط الثقافية والأدبية على الأزهر ورجاله الإجلاء.

---

(1) النداء فى الإسلام ص ٩ سلسلة اقرأ العدد ٣٦٤ دار المعارف بمصر.

يقول الأستاذ أحمد قاسم:

"نتمني أن يسهم الأزهر الشريف ورجاله الأجلاء الفضلاء بصورة إيجابية فى دنيا المسرح... كما نستحث المواهب الشابة من طلاب الأزهر وخريجيه إلى خوض غمار التأليف المسرحي وامتطاء صهوة المسرح بفروسية واقتدار[1].

ومن ثم ما أحوج شبابنا اليوم إلى مثل تلك الصور التى استوحاها الأديب الشرباصي من ذخائر كنوز التاريخ الإسلامي فى أزهي عصوره وجسدها فى هذا القالب المسرحي تارة، أو عن طريق التراجم والأخبار تارة أخرى، كما فى كتاباته "البطولة" و"الفداء فى الإسلام" و "واجب الشاب العربى" وغيرها كثيرا ليستقبلوها بوجدانهم وبكل كيانهم بإعتبارها القدوة الصالحة للسلوك الإنساني السامي الذى يمضي بالبشرية إلى الغد الأفضل.

ويقول الشرباصي فى مقدمة كتابه "الفداء فى الإسلام":

ومع إدراك بصير لهذه الحقائق وشعور عميق بحاجتنا إليها، جرى القلم بصفحات هذا الكتاب، ليكون تذكرة تتفتح لها الآذان الواعية وتتلقاها الهمم العالية، فإن التذكرة مفتاح لطريق قد يمتد ويطول، ولكنه يضمن الهدف المأمول[2].

ومكانة الأديب تقد بما أحدثه فى أدب أمته، وما أمدها من عقله وقلبه وبيانه والأديب المجيد هو من يثير الأفكار ويهيج النفوس، ويترك أدباً يتردد على الألسنة والأقلام.

ولا ريب أن كل هذا نجده متحققاً فى كل ما خطه قلم الشرباصي يشهد لصاحبه بأصالة الأدب فى نفسه وبراعة التأليف المسرحي فى حسه.

ولذا يكون الأديب الشرباصى جديراً بالبحث والدراسة وإحياء تراثه الأدبي وتأكد لي من خلال هذه الدراسة حاجتنا إلى المسرح الإسلامي باعتبار المسرح منبراً حديثاً ووسيلة من وسائل الدعوة الحديثة، له مجاله الخصب وجاذبيته الكبيرة فيعتليه أبناء الأزهر ورجاله بممارسة التأليف

---

(1) المسرح الإسلامي ص ٤٢٣ وما بعدها.

(2) الفداء فى الإسلام ص ١٠.

لخبرتهم الواسعة، وعلمهم الغزير بالسير والأخبار والمواقف والأحداث التي حفل بها التراث الإسلامي، فهم أقدر من غيرهم على ممارسة هذا اللون من الفنون الأدبية.

ولذا أدعو أن يكون المسرح ناهلا من التراث العربي والإسلامي وألا يصطدم بالمفاهيم الإسلامية عن الحياة والكون والإنسان. وأن تولي جامعة الأزهر ممثلة في كلياتها المتعددة اهتماماً كبيراً لهذا اللون من النشاط الثقافي وأن تنشره بين طلابها، وترعى أصحاب المواهب منهم وحبذا لو وضعت له أسس وقواعد تختلف في الشكل والمضمون عن الشائع والمألوف في المسرح الجامعي والمسرح العام.

ولماذا لا تهدف الجامعة إلى تخريج الفنان المسلم والأديب المسلم والمؤلف للمسرح الإسلامي من خلال إنشاء معاهد أو أقسام لهذه الألوان بالجامعة. لأن الأزهر هو قلعة الإسلام منذ إنشائه الذي تشرق منه أنوار المعرفة على سائر بلاد العالم الإسلامي من أقصاها إلى أقصاها.

وأخيراً إني لسعيد إذ أقدم هذه الدراسة عن أديب من رجالات الأدب في العصر الحديث وهو واحد من أبناء الأزهر الشريف.

وبعد لا بديل من القول إنني لم آل جهدا في هذا البحث وكل ما أرجوه أن أكون قد وفيته حقه وقمت بشيء من الواجب تجاه الإديب العالم المرحوم الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي رحمة الله عليه، وتجاه الأدب العربي.

وما توفيقي إليه بالله

د/ علي جاد الحق

غرة شعبان

١٤٢٥/٩/١٥هـ

ثبت المراجع

١- الأدب الإسلامي وصلته بالحياة، محمد الرابع الحسنى الندوى دار الصحوة بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٢- الأدب الهيليني: ج٤، د. محمد غلاب، الطبعة الأولى، سنة ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.

٣- الإصابة فى تمييز الصحابة جـ ٤ لابن حجر العسقلانى ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م.

٤- الأدب وفنونه/ عز الدين إسماعيل دار الفكر الطبعة السابقة.

٥- أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد د/ رجب البيومي دار الأصالة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٦- أدب الأطفال فى ضوء الإسلام: د. نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ

٧- أبطال عقدة وجهاد د/ الشرباصي- سلسلة البحوث الإسلامية السنة الرابعة العدد ٥٨ شوال ١٣٩٢هـ نوفمبر ١٩٧٢م.

٨- أدب باكثير المسرحي: د. أحمد السعدني، الطليعة، أسيوط، ١٩٨٠م.

٩- آفاق من الإبداع والتلقى فى الأدب والفن د/ مصطفى الجويني دار المعارف.

١٠-العصر الإسلامي د/ شوقي ضيف- دار المعارف الطبعة الثالثة عشرة.

١١- التفكير النقدي عند العرب د/ عيسى العالوب دار الفكر دمشق ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٢-الفداء فى الإسلام د/ أحمد الشرباسي سلسلة أقرأ العدد ٣١٤ الطبعة الثانية دار المعارف بمصر.

١٣-العودة إلى المنابع. أنور الجندي.

١٤-الكاتب العربي والأسطورة . محمد عصمت المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.

١٥-حوار مع الشاعر المسرحي عدنان مردم- مجلة الشعر القاهرة يناير ١٩٧٩م.

١٦-الكلاسيكية والأصول الفنية. للدراما. د/ محمد مندور دار النهضة مصر.

١٧-دفاع عن البلاغة العربية. أحمد حسن الزيات الطبعة الثامنة ١٩٦٧م.

١٨-سلسلة المسرح الإسلامي ((٢)) د/ أحمد شوقى الفنجرى دار القلم ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

١٩-شمعة على الدرب د/ عارف قياسة- مطبوعة نادى جدة الأدبي الطبعة الأولى ١٤٠١هـ

٢٠-المسرح الإسلامي: أحمد شوقي، دار الفكر العربي.

٢١-المسرح الديني في العصور الوسطي جان فرابيه وأ-م جومار ترجمة د/ محمد القصاص مكتبة النهضة المصرية.

٢٢-المسرح العربي في القرن التاسع عشر د/ أحمد سمير مكتبة سعيد رأفت.

٢٣-المسرح المصري القديم: انني وبربو توت ترجمة ونقد د. ثروت عكاشة دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٦٧م.

٢٤-المسرحية نشأتها وتاريخها. عمر الدسوقي. دار الفكر العربي.

٢٥-المسرح العربي. رشدي صالح. مطبوعات الجديد العدد الرابع يونيه ١٩٧٢م.

٢٦-المسرحية من خلال تجاربي الشخصية. على أحمد باكثير.

٢٧-علاقات الأدب بشخصية الأمة. د/ عبد الرحمن العشماوي. مكتبة العبيكان الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٢٨-علل وأدوية- محمد الغزالي- دار العلم- الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢٩-فن الكاتب المسرحي: روجرم بسفيلد لأبن ترجمة وتقديم دريني خشبة.

٣٠-فن الأدب توفيق الحكيم، مكتبة الآداب.

٣١-من خلال القرآن المجلد الثاني سيد قطب الطبعة الثانية عيسى الحلبي.

٣٢-في النقد المسرحي: د/ محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر.

٣٣-مصادر الإبداع بين الأصالة والتزويد: د/ عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٣٤-مسرحيات إسلامية: د/ أحمد الشرباصي، كتب ثقافية العدد ١٦٢ سنة ١٩٦٢م.

٣٥-منهج الفن الإسلامي: محمد قطب.

٣٦-النقد الأدبي أحمد أمين مكتبة النهضة الطبعة الرابعة ١٩٧٠م.